من المسرح العالمى

الحياة حلم

تأليف: كالدرون دى لاباركا

ترجمة وتقديم: د. صلاح فضل

مراجعة: د. محمود على مكى

شخصيات المسرحية

باسيليو : ملك بولونيا	Bojilio
سيخسموندو : أمير	Segismundo
أستولفو : دوق موسكوبيا	Astolfo
كلوتالدو : عجوز	Clotaldo
كلارين : مهرج	Clarin
استريا : أميرة	Estrella
روساورا : سيدة	Rosaura

جنود

حرس

موسيقيون

مرافقون

خدم

وصيفات

تدور المشاهد فى بلاط بولونيا ، وفى احدى القلاع البعيدة نسبيا ، ثم فى ميدان الحرب ٠

الفصل الأول

على أحد الجوانب جبل وعر ، وعلى الآخر برج قد اتخذ الدور الأسفل منه سجنا لسيخسموندو ، البابالذى يواجه المشاهد مفتوح قليلا ، تبدأ الأحداث قبيل الغروب .

المشهد الأول

روساورا — كلارين

(تظهر روساورا على قمة الصخور وهى متنكرة في ثياب رجل ثم تهبط إلى السفح يتبعها كلارين) .

روساورا : أيها البراق العنيف
يامن سابقت الريح
أين أنت ؟ شعاع بلا لهب
طير بلا لون ، سمك بلا حراشف
بهيمة وحشية بلا غرائز
طبيعية في التيه الحائر
من تلك الصخور العارية
جنحت إلى أين ، تمرغت ، تورطت ؟
فلتبق في هذا الجبل
حيث تلقى فيتون (١) الوحوش

---

(١) فيتون : ابن اله الشمس هيليوس ، وقد اذن له ابوه كما تروى الاساطير ان يجر مركبة الشمس خلال نهار واحد فاوشك أن يحرق الكون لعدم خبرته اذ لم يستطع ان يكبح جماح الجياد فاقتربت المركبة من الارض وجفت الانهار ، ويبدو ان روساورا تنعى على جوادها ان جمح بها والقاها على الارض ثم ولى هاربا .

أما أنا فليس لى من طريق
إلا ما منحتنى قوانين الأقدار
عمياء في وهدة اليأس
سأهبط عبر خشونة الشعاب
من هذا الجبل الشهير
الذى جعدت جبينه الشمس .
بولونيا : يالسوء لقائك
لغريب إذ تكتبين
بالدم خطوة في رمالك
إذ يوشك أن لا يصل عندما يصل
وإذا كان حظى قد قضى بذلك
فأنّى للشقى أن يجد الرحمة ؟

كلارين : قولى شقيينّ ولا تتركينى
وحدى أبداً عندما تشتكين
فقد كنا اثنين هما اللذان
رحلا عن وطنيهما
وذهبا يغامران
اثنان جاءا لهذا المكان
بين المصائب والجنون
واثنان انحدرا من الجبل
أليس من دواعى الأسى
أن أدخل في الحزن ، لا في الحساب ؟

روساورا : رغبت عن مشاطرتك
شكاياتى ياكلارين حتّى لا أسلبك

حقك في السلوى
وإن كنت أبكى سهادك
فهناك لذة كبيرة
في التشاكى : قال فيلسوف :
إن المصائب تتداعى
لتتبادل الشكايات

كلارين : كان هذا الفيلسوف
شيخا سكيراً ، آه من ذا يعطيه
أكثر من ألف من الصفعات
فبعدها سوف يشكو من إحكام الضربات
لكن سيدتى ماذا نفعل الآن
ونحن مشاة وحدنا ضائعون
في هذا الجبل المقفر
عندما ترحل الشمس لأفق آخر ؟

روساورا : من ذا رأى مثل تلك الأحداث الغريبة
لكن . . إن كنت لا أعانى خداع بصر
يثير الخيال
فعلى ضوء النهار الخفر
يبدو أنه يتراءى لى
مبنى

كلارين : أما أن تكذب رغبتى
أو تكملين لى العلامات

روساورا : إنه قصر صغير خشن
يولد بين الصخور العارية

لا يجروْ على أن يشرئب للشمس
بمثل تلك الصنعة الغليظة
أما العمارة في مبناه
فتبدو كما لو أن طوابقه
من كثرة الصخور ووفرة الأحجار
هضبة تدلت من القمة
وقد مستها نار الشمس

كلارين : هيا بنا نقترب منه
فحسبنا سيدتى كثرة النظر
إذ عسانا نجد فيه أناسا
كراما يأذنون لنا بالدخول

روساورا : بابه ..
(أو بالأحرى فمه المشئوم) مفتوح
وداخله مظلم .
كأنه ظلام الليل يتولد في جوفه
(تنبعث ضوضاء وجلبة قيود حديدية)

كلارين : ماذا أسمع بحق السماء

روساورا : شبح أنا من نار وثلج لا يتحرك

كلارين : أليس هذا رنين أغلال ؟
فلتقتلونى إن لم يكن سجينا يقضى عقوبته
بهذا تنبئنى مخاوفي .

المشهد الثاني

سيخسموندو في البرج — روساورا — كلارين

سيخسموندو : (من الداخل)
آه ما أشقانى .. ياللتعاسة ! !

روساورا : يالحزن الصوت الذى أسمع
أصارع عذابا وآلاما جديدة

كلارين : وأصارع أنا مخاوف جديدة

روساورا : كلارين !

كلارين : سيدتي !

روساورا : علينا أن نهرب
من سطوة هذا البرج المسحور

كلارين : أما أنا فلا طاقة لى
على الهرب وان كنت أنشده

روساورا : أليس هذا بمشعل خافت
كنيزك عجوز أو نجم باهت
بينما يترنح إعياء !
ينفث أوارا وشعاعا نابضا
ويجعل الحجرة المظلمة
أشد قتامة بنوره الغامض
أجل . فعلى ضوء انعكاساته
يمكننى أن أحدد (ولو من بعيد)
سجنا معتما

كأنه مثوى لجسد حى
بل هو رجل ويالدهشتى
يتدثر بفراء الوحش
بنوء تحت الأثقال
بلا رفيق سوى المصباح
واذا لم يكن بوسعنا الفرار
فلنتسمع من هنا أناته
حتى نعرف ماذا يقول ؟

(يفتح الباب على مصراعيه ويظهر سيخسموندو يجر أغلاله وهو يرتدى جلد حيوان ، يتراءى ضوء في البرج)

سيخسموندو : آه لبؤسى ويالشقائى !
لماذا لاتنهين حياتى أيتها السماء
ما دمت تعاملينى هكذا ؟
فأى جرم قد اقترفت
في حقك عندما ولدت
وان كنت الآن – بمولدى – أدرك
أى خطيئة ارتكبت
فقد كان لديك في مولدى سبب كاف لعقابى
أمام عدالتك وشدتك :
فان أعظم آثام الإنسان
هو أن يولـــد
لكننى أريد أن أعرف
كى تزول أسباب سهادى

(ولنترك جانبا أيتها السماء
جرم المولد)
هل أسأت اليك بشئ آخر
ألقى عليه مزيد عقاب ؟
والآخرون . . ألم يولدوا ؟
واذا كانوا قد ولدوا
فأى مزايا قد وهبوا
حرمت منها للأبـــد ؟
الطير يولد من زينة ريشه
في خلق بديع الجمال
لايكاد ينبت ريشه
كباقة زهر بأجنحـــة
حتى يقطع بسرعة
أبهاء الجو الأثيريـــة
ويترك خلفه بهدوء
دعة العش ورحمته
وأنا الأسمى منه روحا
أقل نصيبا من الحرية ؟
يولد الوحش له إهاب
خطت عليه رسوم جميلة
ولا يكاد يصبح علامة نجوم
بفضل ريشة الخالق الحكيم
حتى تأتى حاجات الطبيعة
وهى جريئة وقاسية
فتعلمه أن يكون ضاريا

ويجعله مسخا في متاهة
وأنا .. الأرقي منه غريزة
أأكون أقل منه حرية ؟
يولد السمك لايتنفس
بين الطين والطحالب
ولا يكاد يصبح زورقا من الحراشف
يرى فوق الأمواج
حتى يدور في كل اتجاه
وهو يقيس الحدود الشاسعة
لكل تلك السعة
وكيف تنبعث من المركز البارد
وأنا الأكثر منه مشيئة
أقل منه في الحرية ؟
يولد الجدول مثل الحية
التي تنطلق بين الزهور
وعندما يصبح ثعبانا فضيا
يتكسر بين الأزهار
إذا به يتلقى حفاوة الزهور
مرحبة بموسيقى خريرة
وهي تعطي له الجلالة
على الحقول المفتوحة لهروبه
وأنا الأكثر منه حياة
أأكون أقل منه حريـــة ؟
وكلما أصل لهذا الانفعال
يحتدم في جو في لهيب كبركان

اتنا(١) يكاد ينتزع من صدري
فلذات ممزقة من قلبي
فأي قانون أو عدالة أو عقل
ينكر على بني الإنسان
مثل هذي النعم اليسيرة
ويجعل منه أول استثناء
لما أعطى الله لجدول الماء
والسمك والوحش والطير .

روســاورا : إن كلماته توحي إليّ
بشيء من خوف ولمسة حنان

سيخسموندو : من ذا الذي سمع صوتي ؟
هل أنت كلوتالدو ؟

كــلارين : (لسيدته على حدة)
قولي نعم

روســاورا : لست إلا بائسا . . آه عليّ
سمع منك آهات شجية
بين تلك الأقباء الباردة

سيخسموندو : إذن قضيت عليك بالموت
كي لا تعلم أنني أعرف (يمسك بها)
أنك تعرف مواطن ضعفي
فقط لأنك قد سمعتني

---

(١) بركان في شمال جزيرة صقلية ـ المترجم .

سأقطعك إربا إربا
بين ذراعىّ هذين المفتولتين

كـــلارين : أما أنا فلأنى أصم
لم أتمكن من سماعك

روســـاورا : إن كنت قد ولدت إنسانا
يكفينى اذن أن أجثو أمامك
وتحت قدميك كى تعفو عنى

سيخسموندو : ان صوتك أثّر فىّ
وحضورك شلّ إرادتى
واحترامك قد أربكنى
من أنت ؟ قل ، بالرغم من أنى
لا أعرف عن هذا العالم إلا القليل
فهذا البرج قد كان لى
مهدا ولحدا .
وبالرغم من أنى منذ ولدت
— لو كان هذا مولدا ، ما شاهدت
إلا هذه البيد القفار
حيث أعيش تعيس الحظ
إذ أننى هيكل حى
وميت فيه الروح
ومع انى لم أر أبدا ولم أتكلم
الا مع رجل واحد
هو الذى يشعر بمدى شقائى
وهو الذى أعرف منه

نبأ السماء وخبر الأرض وبالرغم من أنى
— مهما استحوذ عليك العجب
وأسميتنى مسخا بشريا يبعث الدهشة ويثير الخيال
فإنى إنسان من الوحوش
ووحش من بنى الإنسان
وبالرغم من شقائى العظيم
فإنى قد درست السياسة
كما علمتها لى الوحوش
ونبهتنى اليها تلك الطيور
وتعلمت من الكواكب اللطاف
كيف أقيس دوائر الفلك
وأنت وحدك الذى أبطلت
منى أنا هوى الغيظ
أنت الذى أعشيت عينى
ثم بهرت منى السمع
وكلما أنعمت فيك النظر
وهبتنى مزيد إعجاب
وكلما وجهت إليك البصر
ازددت رغبة في أن أمتع بك النظر
وأظن عينىّ قد أصبحتا كالظامىء
لا يزيده الشرب إلا عطشا
وهى حتى إن كانت تنهل موتا
لا تفتأ تطلب المزيد
ومع أنى أرى النظر يسوق الموت
فانى أموت من أجل أن أرى

ولكن . . لأراك أنا ثم أموت
فأنا لا أعرف . . أصبحت عاجزا
إن كانت رؤيتك تسوق الموت
فحرمانى منها ماذا يسوق
لعله أشد من الموت الضارى
غيظ ، سعار ، ألم رهيب
ليكن الموت فهذا المصير
قد وازنت ما فيه من قسوة
فإن منح الحياة لشقى
يعدل منح الموت لسعيد

روســاورا : من عجبى لرؤيتك
ومن افتتانى بسماعك
لا أعرف ماذا أقول لك
أو أى شىء أسألك
غير أن السماء اليوم
قد هدتنى لهذا المكان
كى تمنحنى بعض العزاء
ان كان ثمة سلوى
للشقى إذ يرى
من هو أكثر منه شقاء
يحكى أن عالما ذات يوم
وكان فقيرا بائس الحال
لم يكن يجد ما يقيم أوده
الا الحشائش التى يلتقطها

قال لنفسه هل يوجد أحد
أفقر منى أو أشد حزنا
ولم يكد يدير وجهه
حتى وجد الجواب إذ رأى
عالما آخر جعل يلتقط
ما رماه من الأوراق
كنت أشكو سوء حظى
وأنا أحيا في هذا العالم
وعندما كنت أحدث نفسى
« هل يوجد شخص آخر
أتعس منى حظا ؟ »
وها أنذا أجد الجواب
جاء يعيد إلىّ الصواب
إذا أجد أن أحزانى
بالنسبة لك هى أفراح
يمكنك أن تلتقطها
فإذا كانت مصائبى
تخفف عنك بعض الشىء
فاسمعها مصغيا وخذ
تلك التى فاضت عنى
إنى . . .

المشهد الثالث

كلوتالدو — جنود — سيخسموندو — روساورا — كلارين

كلوتـــالدو : (من الداخل) ياحراس هذا البرج

نياما كنتم أم جبناء
كيف سمحتم لشخصين
أن يكسرا حصار السجن ؟

روساورا : ها نحن نعانى محنة جديدة

سيخسموندو : انه كلوتالدو صاحب سجنى
أليس لشقائى هذا من آخر ؟

كلوتالدو : (من الداخل) هلموا اليهما أيها الحراس
وبدون أن يستطيعا الدفاع عن نفسيهما
أمسكوهما أو اقتلوهما

أصوات : (من الداخل) خيانة !

كلارين : ياحراس هذا البرج
يا من تركتمونا ندخل هنا
أما وقد أعطيتمونا الخيار
فاقبضوا علينا فهذا أسهل

(يخرج كلوتالدو بيده بندقية وبصحبته بعض الجنود ، كلهم ملثمون)

كلوتالدو : (موجها الحديث إلى الجنود عند خروجه)
عليكم جميعا تغطية الوجوه
فان هذا إجراء هام
واحذروا بينما أنتم هنا
أن لا يعرفنا أى انسان

كلارين : أيوجد أيضا مقنعون ؟

كلوتالدو : ويحكما أيها الجاهلان
كيف بكما تعبران
حدود هذا المكان المحرم؟
وتنتهكان قرار الملك
الذى قضى بأن لا يجرؤ
أحد على كشف الأعجوبة
التى ترقد فى هذا الصخر
ألقيا السلاح وسلما نفسيكما
أو ستجدان هذه البندقية
صلاً معدنيا تبصق
عليكما من سمها النافذ
رصاصتين يكون لانطلاقهما
دوى مجلجل فى الهواء

سيخسموندو : أولا طاغيتى ومولاى
قبل هجومك وعدوانك عليهما
ستكون حياتى هى الغنيمة
لتلك الروابط من الشقاء
ففى سبيلها سبحان الله (١)
علىّ أن أمزق نفسى
بكلتا يدى وبأسنانى
بين كل تلك الصخور
قبل أن أسمح بتعاستهما

---

(١) فى الاصل الاسبانى « Vive Dios » وهى تعنى حرفيا «عاش
فرأينا ترجمتها بعبارة « سبحان الله » ، المترجم .

أو أن أبكى هوانهما

كلوتالدو : إذا كنت تعرف ياسيخسموندو
أن شقاءك جدّ عظيم
لأنك قبل أن تولد متّ
بحكم السماء ، إذا كنت تعرف
أن تلك السجون ما هى الا
لجام لكبح جماح
قواك الشريرة المتعالية
وعجلة جاءت لتوقفها
فلماذا تصطنع الكبرياء ؟
(إلى الجنود) أغلقوا باب هذا السجن الضيق
وخبئوه بداخلها

سيخسموندو : آه أيتها السموات
حسنا تفعلين إذ تحرمينى
من الحرية إذ أنا في الخارج
أكاد أتحول إلى عملاق ضدك
حتى أهشم من الشمس
هذا البللور وذلك الزجاج
على أساس من الأحجار
أنصب جبالا من صخر اليشب

كلوتالدو : ربما لكيلا تنصب شيئا
تعانى اليوم كل هذا السوء

(يحمل بعض الجنود سيخسموندو ويغلقون باب السجن عليه) .

المشهد الرابع

روساورا — كلوتالدو — كلارين — جنود

روساورا : مادمت أرى أن الكبرياء
جرحتك بشدة أيها المجهول
إلا أن يطلب منك بتواضع
أن تهب الحياة بالركوع أمامك
فلتتحرك فيّ الرحمة
فانها ستكون صرامة بالغة
أن لا تجد سبيلا لنفسك
إلا المذلة وإلا الكبرياء

كلارين : وان كان التواضع والكبرياء
لا يثنيان عزمك . وهى شخصيات
طالما حركت وأثرت
في ألف قطعة من مسرح الأسرار (١)
فإنى لست متكبرا
ولا متواضعا بل بين بين
مزيج أنا أطلب منك
أن تعفو عنا وأن ترعانا

كلوتالدو : هلموا إلىّ !

جنود : مولانا !

---

(١) مسرح الأسرار الكهونية Autos Sacramentales هو فصول م
المسرح الرمزى الدينى الذى بلغ فيه كالدرون القمة والذى تتجسم فيه المـ
المجردة فى شخصيات مسرحية ، انظر ما ورد عنه فى المقدمة ، المترجم .

كلوتـــالدو : عليكم بالاثنين
انزعوا سلاحهما ثم اعصبوا
عيونهما حتى لا يريا
كيف ومن أى مكان خرجا ؟

روســـاورا : هذا سيفى إليك أنت
أسلمه لا لغيرك
فإنك مهما كان الأمر
قائدهم جميعا وهو لا يعرف
أن يستسلم لمن هو أقل شأنا

كـــلارين : أما سيفى فيمكن أن يعطى
لأخس واحد
(إلى جندى) فخذه أنت

روســـاورا : ان كنت سأموت فإنى أريد
أن أتركه لك ثقة برحمتك
رهينة يمكن تقدير قيمتها
بقيمة صاحبها الذى شدها
ذات يوم على حزامه
أعهد اليك بحفظه لأنى
وان كنت لا أعلم مدى سره
فإنى أعرف أن هذا السيف المذهب
تكمن فيه أسرار عظيمة
ولثقتى فيه فحسب
جئت إلى بولونيا كى أنتقم
لإهانة لحقتنى

كلوتـــالدو : (على حدة) أيتها السموات المقدسة !
ما هذا ؟ ها هى همومى
تشتد وحيرتى
تتعاظم وقلقى وأحزانى
من ذا الذى أعطاك إياه ؟

روســـاورا : امرأة

كلوتـــالدو : ما اسمها ؟

روســـاورا : اننى مضطرة
أن لا أبوح بذكرها

كلوتـــالدو : هل استنتجت أم أنت تعرف
أن لهذا السيف سرا ؟

روســـاورا : من أعطتنى إياه قالت : «فلترحل
إلى بولونيا به وتلمس
بمهارة وحسن حيلة
أن يرى معك هذا السيف
النبلاء وكبار الدولة
فانى أعرف أن أحدهم
سيحميك ويشملك بفضله»
وخشية أن يكون قد مات
لم يرد حينئذ أن يخبرنى باسمه

كلوتـــالدو : (على حدة) ماذا أسمع بحق السماء !
مازلت لا أعرف على وجه التحديد
ان كانت مثل تلك الأحداث

حقيقة أم صنع أوهام
هذا هو السيف الذى تركته
مع « بيولانتى » الحسناء
وشارتنا أن من يحضره
مشدودا على خصره سوف يجدنى
باراً مثل الابن
رؤوفا مثل الأب
إذن ماذا أفعل ؟ آه علىّ !
في مثل هذه الحيرة
إن كان من أحضره مدلا به
قد أحضره من أجل موته
فقد قضى عليه بأن يلقى حتفه
وهو يصل إلى موطىء قدمى . يالفداحة
الحيرة ويالسوء الطالع !
هذا ولدى وتلك الإشارات
تنطبق جيدا مع الامارات
من القلب الذى دق
في الصدر عندما رآه
ورفرف بأجنحته فلم يستطع
تحطيم الأقفال فهو يفعل
مثل هذا الحبيس
الذى يسمع الضجيج في الشارع
فيطل من النافذة :
فقلبى هكذا وإن كان لا يعرف

ماذا يحدث فقد سمع الضجيج
ثم أطل من العيون
فتلك هى نوافذ الصدر
حيث يخرج منها دموعا
ماذا أفعل بحق السماء ؟
ماذا أفعل ؟ فلو أخذته
إلى الملك فانى أحمله ويا لتعاستى
إلى الموت كما لا أقدر
على إخفائه عن الملك
طبقا لقواعد الـــولاء
فحبى لنفسى من جانب
ومن آخر فروض الوفاء
يتجاذبانى . لكن فيم الشك ؟
الولاء للملك . أليس قبل
الحياة نفسها وقبل الشرف ؟
فليحى الولاء على ما عداه
والآن علىّ أن أنتبه
لما قال من أنه قد جاء
للانتقام من إهانة .
والرجل الذى تلحق به الإهانة
لابد أن يكون مهينا .

فهو ليس ابنى ، ليس ابنا لى
ولم تجر فيه دمائى النبيلة .
لكن إذا كان قد وقع
الخطر ولا أحد بجراء
من مثله لأن الشرف
من مادة بالغة الرقة
فهو يتكسر من حادث واحد
ويتدنس حتى من الهواء
وماذا كان بوسعه أن يفعل
أى نبيل من جانبه
غير أن يتجشم الأخطار
ويأتى هنا بحثا عنه ؟
بل ابنى هو وفيه دمى
اذ هو يتصف بشجاعة عظيمة .
وهكذا أنا بين شك وآخر
وقد تكون أنجع وسيلة
أن أذهب للملك وأقول له :
إنه ابنى فليقتله
فربما نفس العطف
على شرفي يثنيه
فإن كنت أستحقه حيا
فسأعينه في الانتقام
من الإهانة . وان رأى الملك

بصرامته التى لا تفتر
أن يقتله فسوف يموت
دون أن يدرى أننى والده
(إلى روساورا وكلارين)
أيها الغريبان تعاليا معى
ولا تخافا ، لا . لن تنقصكما
الصحبة في الملمات
اذ أن في مثل هذا الشك
بين الحياة وبين الممات
لا أعرف أيهما أكثر عظمة

(يذهبــون)

المشهد الخامس

أحد الأبهاء في القصر الملكى

أستولفو يخرج من أحـد الجوانب وبصحبته ثلـة من الجنود . ثم تخرج الأميرة استريّا من جانب آخـر وبرفقتها بعض الوصيفات ، تعزف الموسيقى العسكرية من الداخل وتطلق المدافع للتحية .

أستولفو : عند رؤية الأشعة الرائعة
التى كانت من قبل نيازك
وهى تختلط عند الإطلاق
بمختلف الطبول والأبواق
بالعصافير والينابيع
فموسيقاها المتلائمة
وروعتها المتناهية

عند طلعتك السماوية
بعضها مزامير من ريش
والأخرى طيور معدنية
وهكذا تحييك يا سيدتى
الرصاصات مثل الملكة
والطيور كأنك إلهة الشروق
والمزامير كأنك إلهة الحكمة
والورود كأنك إلهة الزهور (١)
لأنك أنت وقد هزئت من النهار
وهو الذى نفى الليل
فجر في المسرة
وربة الزهور في السلام والحكمة في الحرب
ثم أنت منى مالكة الروح

استريّـــا : إن كان لى أن أقيس الكلام
بالأعمال الإنسانية
فقد أسأت عندما قلت
لطائف البلاط الرقيقة
حيث يمكن أن تكذبك
كل تلك النصب الحربية
التى أجاهد ضدها بجسارة
فإن عبارات المداهنة التى أسمعها منك

---

(١) تاتي فى الأصل الاسبانى اسماء هذه الآلهة اللاتينية ، ولما كانت لا تعنى
نا بالنسبة للقارىء العربى فقد آثرنا ان نكتبها بمعناها ومع ذلك فاننا نثبتها
لمن يريد معرفة اسمائها فالهة الشروق Aurora والهة الحكمة او الحرب
عية العادلة Polas والهة الزهور Flora . المترجم .

لا تنطق على ما أعتقد
بمظاهر العنف التى أراها
حذار فهذا عمل دنىء
لا يصدر إلا عن الوحوش
أم الخداع والخيانة
أن تتمدحه بالفم
ثم تقتل بالنية

أستولفـــو : ما أسوأ ما أخبروك
عنى يا استريّا اذ تشكين
في صدق مجاملتى لك
فأضرع اليك أن تسمعى الأسباب
هيا لنرى إن كنت أعرفها .
بعد أن توفي « أوستورخيو » الثالث
ملك بولونيا ترك وراءه
« باسيليو » وريثا لعرشه
وبنتين ولدتا منهما
أنا وأنت . ولا أريد
أن أتعبك بما لا ينبغى
أن يقال هنا . فـ « كلوريلينى »
وهى والدتك وسيدتى
ترقد الآن في أعظم ملكوت
عليها رواق من الشهب
كانت الكبرى وأنف لها
كريمة وأما الثانية
وهى أمى وخالتك

سليلة المجد « ريثيسوندا »
أطال الله إلى ألف عام عمرها
فقد تزوجت في « موسكوبيا » (١)
وولدت لها ، ولنعد الآن
للبداية الأخرى فهذا حسن
فباسيليو قد أصبح الآن
ياسيدتى شيخا نالت منه السنون
وقد كان دائما أكثر ميلا
للدراسة منه
للنساء حتى ترمل
بدون أولاد . وأنا وأنت
نطمح للملك هذه الدولة
وقد تزعمين بأنك أولى بالملك
إذ كنت بنت الأخت الكبرى
غير أنى إذ ولدت رجلا
فإنى ينبغى أن أفضل عليك
وإن كانت أمى هى الأخت الصغرى
وقد ذهبنا إلى خالنا
وحكينا له مقاصدنا
فأجابنا بأن مراده
أن نأتلف ولا نتعجل
هذا المنصب وذلك اليوم

م قديم يشمل الى جانب مدينة موسكو عاصمة روسيا الآن الاقليم
moscoria ويلاحظ اننى التزم بنطق الحروف طبقا للقواعد
ة الاسبانية التى تعطى حرف V قيمة الباء . المترجم

وكنت قد خرجت لهذا الغرض
من « موسكوبيا » ومن أراضيها
حتى وصلت إلى هنا
كى تشنى على الحرب
بدل أن أعلنها عليك
آه ليت الله العليم ياحبي
يجعل الشعب منجما صادقا
فيما يقول عنى وعنك
حتى يتم هذا الوفاق
وتصبحين فيه الملكة
لكن ملكة على مشيئتى
ويعطينا خالنـا
تاجه لمزيد من تشريفنا
فنضمه لانتصاراته قيمتك
وحبى للامبراطورية .

استريـــا : إن صدرى لا يكن
أقل من هذا الأدب الكريم
وما أسعدنى أن يكون ملك
الامبراطورية من حظى أنا
كى أمنحك إياها
بالرغم من أنى لست راضية
عن حبى لأنك جاحد
وان كنت فيما تقول أشك
فهذه الصورة المدلاة على صدرك

أستولفو : تكذب ادعاءاتك
لست أبغى الا رضاك
بها ولكن ليس ثمة مجال
تتركه أصوات الآلات الموسيقية
(تعزف الموسيقى) وهى تعلن خروج الملك
وبصحبته رجال حاشيته

المشهد السادس

الملك باسيليو وحاشيته ، أستولفو ، استريّا ، جنود ووصيفات

استريّا : ياطالس الحكيم (١) . .
استولفو : يا إقليدس العظيم (٢) . .
استريّا : يامن بين الطوالع . .
أستولفو : وبين الكواكب . .
استريّا : تحكم اليوم . .
أستولفو : واليوم تقطنها . .
استريّا : وطرائقها . .
أستولفو : وآثارها . .

---

(١) هو عالم رياضيات وفيلسوف ومنجم من مدرسة اليونا الافريقية ، ولد سنة ٦٤٠ قبل الميلاد وتوفى سنة ٥٤٨ ، وهو القائل بان اصل كل المخلوقات انما هو الماء . المترجم

(٢) هو العالم الافريقى الشهير الذى اخذ خلال حكم بطليموس الاول ينشر تعاليمه فى الاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد والذى يعتبر كتابه « العناصر » اساس علم الهندسة . المترجم

استريّا : أنت وصفت . .
أستولفو : قست وفرضت . .
استريّا : دعنا بحق روابط التواضع
أستولفو : دعنا فى أحضانك الرحيمة
استريّا : لأكون لبلابا لذلك الجذع
أستولفو : وترانى جاثيا تحت قدميك
باسيليو : أعطيانى ذراعيكما ياولدى شقيقى
واعتقدا - فأنتما مواليان
لفروض محبّق ،
وقد جئتما بمثل تلك العواطف -
أنى لن أترك أحدا شاكيا
وسأجعلكما سواء
وهكذا عندما أعترف
باستسلامى للعبء الثقيل
فانى لا أطلب منكما فى هذه الفرصة
سوى الصمت فان الأحداث
سوف تقتضى منكم العجب
والآن فانتبهوا فأنتم تعرفون
يابنى أختىّ المحبوبين
ويا رجال بلاط بولونيا المجيد
ويا أتباعى المقربين وأصدقائى
تعرفون أننى فى كل العالم
بفضل علمى أصبحت جديرا

بلقب العالم
فانه بالرغم من الزمن والنسيان
فان ريشة تيمانطس (١)
ومرمر« ليسيبو » (٢)
قد أعلنا في دائرة الكون
أنني باسيليو العظيم
وأنتم تعرفون أن العلوم
التي أوليتها الدرس والتقدير
أكثر من سواها الرياضيات الدقيقة
فمن أجلها أسلب الوقت
ومن أجلها أظفر بالشهرة
في القضاء وصنعة التعليم
كل يوم أكثر من سابقه
وعندما أنظر في ألواحي
وأرى ما ستأتي به القرون
القادمة من جديد
فإني أظفر من الزمان بنعمة
وهو يحكي ما سبق لي أن قلته
وهذه الدوائر الثلجية
وتلك الأروقة من الخزف
التي تضيئها الشمس بخيوط أشعتها

---

(١) رسام اغريقى شهير فى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، صاحب اللوحة المسماة « تضحية ايفيجنيا » ، المترجم .

(٢) نحات اغريقى من القرن الرابع قبل الميلاد كذلك عرف باسلوبه الخاص فى النحت وهو الذى صنع بعض تماثيل اسكندر المقدونى . المترجم

ويقسمها القمر لمدارات
هذه الأفلاك من الماس
تلك المناطيد الزجاجية
التي تزينها النجوم
والتي تستقر فيها الطوالع
هي الدراسة العظمى
لسنوات عمري ، هي الكتب
التي صيغ ورقها من ماس
ودفاترها من ياقوت
والتي خطت فيها السماء
وكتبت بسطور ذهبية
متنوعة الصفات ما سيحدث
لنا من خير أو من شر
اقرأها كلها في غاية السرعة
كما أنني أتابع بروحي
منها عاجل الحركات
خلال اتجاهات وطرق
يا للسماوات ، ما أكثر ما تمنيت
– قبل أن يصبح علمي
تعليقا على حواشيها
وسجلا لصفحاتها –
أن تكون حياتي
هي أولى الضحايا
لغضباتها وأن تتم بها
مأساتي

لأن نعمة التعساء
تستحيل إلى نقمة وسلاح قاتل
فإن من تؤذيه المعرفة
فهو قاتل نفسه
فلأقلها أنا وإن كان من الأفضل
أن تقولها الأحداث التى قاسيت
والتى أطلب منكم الصمت مرة أخرى
حتى تعجبوا لها .
من زوجتى « كلوريلينى »
رزقت بطفل تعيس
في مولده استنفدت السماء
كل الغرائب
فقبل أن يخرج للنور الجميل
من اللحد الحى
وهو البطن (لأن المولد
والممات متشابهان)
رأت أمه ما لا يحصى من المرات
بين الأفكار والهذيان
رأت في الحلم أنه يمزق
أحشاءها بكل جرأة
مسخ في صورة إنسان
وأنه وقد صبغته الدماء
أمامها وهو يولد
كأنه حية القرن البشرية
وعندما جاء يوم مولده

تمت النبوءات
(لأنه آجلا أو أبدا
كذابون هم الكفار)
ولد وحال طالعه
أن الشمس بدمها القانى
كانت قد دخلت وهى مغيظة
مع القمر في مبارزة
وكانت الأرض هى السياج
بينما الكوكبان الإلهيان
يتصارعان بنورهما الكامل
إذ لم يكن صراعهما بقوة الذراع
وعانت الشمس أكبر كسوف
وأفظعه منذ أن بكت
بالدم موت المسيح
وكان هذا لأن الكون
وقد غمرته الحرائق المشبوبة
حتى بدا كأنه يعانى
الاحتدام الأخير
فقد أظلمت السماوات
وارتجفت الأبنية
وأمطرت السحب حجارة
وبينما الشمس بهذا الشكل
بين الهياج والهذيان
ولد سيخسموندو معطيا
الدليل على طبيعته

إذ أنه أمات أمه
وكأنه يقول بكل ضراوة
إنسان أنا وسوف أبدأ
بأن أجازى عن الخير شرا
أما أنا فقد هرعت لعلمى
أنظر فيه وفي كل شىء
فأجد أن سيخسموندو سيكون
أكثر الرجال جسارة
وأشد الأمراء قسوة
وأكثر الملوك كفرا
فيه تصبح مملكته
ظالمة ومتنازعة
مدرسة للخيانة
ومعهدا للرذائل
وانه ستأخذه العزة بالإثم
بين الفظائع والجرائم
حتى يصل لأن يطأنى
بقدميه ويرانى جاثيا
أمامه في استسلام
(بأى خجل أقول هذا)
فسيجعل شعراتى الشيباء
ووجهى بساطا لقدميه
ومن ذا لا يصدق الأذى
خاصة الأذى الذى رآه
في دراساته حيث يكون

حب النفس قد قام بدوره؟
وإذن فإنى وقد صدقت
الأقدار الإلهية
التى تنبأت لى بالضرر
وبمشئوم التكهنات
قررت أن أحبس
الوحش الذى قد ولد
حتى أرى إن كان لحكمة العالم
سيطرة على النجوم
ثم أذيع أن الأمير
ولد ميتا وقد احتطت
بأن أمرت بإقامة برج
بين الأحجار والصخور
في هذا الجبل حيث يكاد النور
لا يجد طريقا اليه
إذا كان مدخله ممنوعا
بمسلات خشنة
وسنت قوانين بعقوبات مشددة
وقرارات عامة
أعلنت أنه لا أحد
يدخل هذا المكان المحرم
من الجبل وكان السبب
هو ما قلت لكم من قبل
وهناك يعيش سيخسموندو
بائسا فقيراً وأسيراً

حيث لا يسمح إلا لكلوتالدو
بأن يكلمه ويعامله ويراه
وهو الذى لقنه العلوم
كما أنه رباه على الشريعة
الكاثوليكية وهو فقط
شهيد على مدى بؤسه .
وهنا ثلاثة أشياء : أولاها
أننى أهل بولونيا أكن لكم
غاية التقدير فأردت تحريركم
من القهر لو خدمتم
ملكا طاغيا ، لأنه
لن يكون سيدا حليما
من يضع وطنه ودولته
في مثل هذا الخطر .
أما الأخرى فهى اعتبار أننى
لو أسلب من يحمل دمى
حقوقه التى تعطيها له
القوانين البشرية والإلهية
فهذه ليست الشفقة المسيحية
لأنه ما من شرع يقول
بأننى لكى أحمى الآخرين
من الجرأة والطغيان
بوسعى أن أكون كذلك
فعلى فرض أن ابنى طاغية
ولكيلا يرتكب هو الجريمة

أجىء أنا بفعل الجرائم
والشىء الثالث والأخير
أننى رأيت مدى الخطأ
في أن أصدق بسهولة
الأحداث المتوقعة
لأنه وإن كانت نزعاته
تملى عليه وهدته
فربما لا تغلبه
لأن القدر الأشد شموسا
والنزعات الأقوى عنفا
والكواكب الأشد كفرا
كلها فقط تميل المشيئة
ولكنها لا تجبر الإرادة
وهكذا ظللت بين سبب وآخر
مترددا دائم التفكير
ولهذا أعددت للأمر علاجا ناجعا
سوف يعطل منكم الحواس
سأجعل سيخسموندو (وهذا هو اسمه
الذى وضع له) ملكا عليكم
منذ الغد دون أن يعلم
أنه ولدى وسوف أضعه
على رواقي وفي مقعدى
حيث يحتل في النهاية مكانى
ليحكمكم ويأمر فيكم
وحيث يقسم الجميع له

بالطاعة والاستسلام
لأنى بهذا سوف أحصل
على ثلاثة أشياء يكون فيها الرد
على الثلاثة الأخرى التى سبق أن ذكرت .
فأولها أنه إن كان قد صار
حكيما عاقلا من الأخيار
مكذبا في كل شيء النبوءات
التى قالت عنه أشياء كثيرة
فستنعمون بالخصال الطبيعية
لأميركم الذى كان
قديما لبعض الجبال
وجارا لما فيها من وحوش
وأما الثانية فهى أنه ان كان
متكبرا جريئا جسورا
وقاسيا يطلق العنان
لنفسه في ميدان الرذائل
كنت أكملت حينئذ
برحمة ما يجب عليّ
وعندما أخلعه بعدها
أكون قد تصرفت كملك لا يقهر
وتكون إعادته للسجن
لا عن قسوة ولكن عقابا عادلا
والثالثة أنه إن تكشف
الأمير عما قلت لكم
فبحق حبى يا رعيتى

سأولى عليكم أجدر الملوك
بالتاج وبالصولجان
سأنصّب عليكم ابنى أختيّ
بعد أن أجمع حق الاثنين
في واحد بتوفيقهما
على شرعة الزواج
وبهذا ينالان ما يستحقان
أنا آمركم بهذا كملك
ثم أطلبه منكم كأب
أنا أرجوكم بهذا كعالم
وأقوله لكم كشيخ مجرب
وان كان سينيكا (١) الإسبانى
قد قال إن الملك في جمهوريته (٢)
ليس إلا عبدا متواضعا
فهذا هو ما أتقدم اليكم به في ضراعة العبد

أستولفـــو : إن كان يجب عليّ الرد
لأننى كنت في حقيقة الأمر

---

(١) سينيكا فيلسوف اسبانى لاتينى ، ولد فى قرطبة على المرجح سنة ٤ ميلادية واشتغل بالسياسة فعمل قنصلا للامبراطور نيرون ثم اتهم بعد ذلك بالتامر عليه فانتحر بقطع شرايينه سنة ٦٥ ميلادية ، وقد آثرت عنه الى جانب كتبه الفلسفية الشهيرة التى استلهم فيها المذهب الرواقى بعض المسرحيات المأساوية مثل ميديا و حروب طروادة و اجا مينون . المترجم .

(٢) يستخدم الشاعر فى النص الاسبانى كلمة Republica **وهى تعنى « جمهورية » وبالرغم من آن من معانيها كذلك « جمهور » وجماعة الا انى آثرت استخدام كلمة جمهورية لما لها من ايحاء يقرب الهوة بين حكم الملوك المطلق والرئاسة العادلة . المترجم**

هنا أول من يعنيه الوضع
فباسم الجميع أقول لكم
ليظهر سيخسموندو
فحسبه أن يكون ابنكم .

الجميع : أعطنا أميرنا
ها نحن نطلبه ملكا علينا

باسيليو : أثنى عليكم يا رعيتى
هذا اللطف الذى تبدون
والآن اصحبوا
عملاقيّ(١) هذين الى جناحيهما
فغدا سترون سيخسموندو

الجميع : عاش الملك باسيليو العظيم

(يدخل الجميع مصاحبين لاستولفو واستريا فيما عدا الملك)

المشهد السابع

كلوتالدو – روساورا – كلارين – باسيليو

كلوتالد : (الى الملك) هل أستطيع أن أكلمك ؟

باسيليو : إيه كلوتالدو !
أنت دائما مرّحب بك

---

(١) يطلق باسيليو على ولدى اخته « عملاقين » لما ينتظر منهما من تاييد وهو يستخدم فى ذلك كلمة Atiante التى تشير الى العملاق أطلس الذى تحكى الاسطورة انه قد تحول الى جبل ورفع على كاهله قبة السماء .

كلوتالدو : بالرغم من أن مجيئى جاثيا
على قدميك واجب علىّ
فهذه المرة يا مولاى
يخرق حظى التعس الفظ
ما قد سنه القانون
وما جرت به العادة

باسيليو : ماذا لديك ؟

كلوتالدو : كارثة . .
يا مولاى قد جرت علىّ
وكان يمكن أن أعدها
أعظم الأفراح

باسيليو : استمرّ !

كلوتالدو : هذا الشاب الجميل
قد تجرأ وكان غافلا
فدخل البرج يا مولاى
حيث رأى هناك الأمير
وهو . .

باسيليو : يا كلوتالدو لا تغتم
فلو حدث هذا يوما آخر
لاعترفت بأنه شىء مؤسف
أما وقد كشفت السر
فليس مهما أن يعرفه
ما دمت أنا قد أذعته
تعال لرؤيتى بعد فلدى

أشياء كثيرة أنبهك عليها
وأعمال أخرى تفعلها لى
واحذر فانك سوف تكون
أداة لأعظم الأحداث
التى شهدها العالم
أما هؤلاء الأسرى — فى النهاية
لا تتوقع اليوم أن أعاقب
إهمالا منك — وقد عفوت عنهم
(يذهب)

كلوتـــالدو : عشت مولاى العظيم ألف قرن

المشهد الثامن

كلوتالدو — روساورا — كلارين

كلوتـــالدو : (على حدة) « ابتسم الحظ من السماء
فلن أقول إنه ابنى
ما دام بوسعى الاعتذار »
أيها الزائران الغريبان
أنتما حران .

روســـاورا : ألثم (١) قدميك . .
ألف مرة

كـــلارين : أما أنا فإنى أجثم (١)

(١) يتلاعب الشاعر هنا بفعلين اسبانيين : احدهما Beso بمعنى اقبل ، والثانى Viso بمعنى احدق النظر ، وقد حاولت الاحتفاظ له بظرف الجناس مع تحوير طفيف فى الفعل الثانى ، ولا يفوتنى ان اشير هنا الى ان هذه النزعة البلاغية « الباروكية » لاستخدام عناصر البديع قد التقت مع بقايا التاثير العربى فصبغت الذوق الادبي الاسبانى بطابعها . المترجم .

بنظرى عليهما فإن حرفا
لا يفصل بين صديقين

روساورا : وهبتنى سيدى الحياة
ومادمت مدينا بها لك
فستجدنى إلى الأبد
عبدا لك

كلوتـــالدو : . . لم يكن
ماوهبتك هو الحياة
لأن رجلا حسن المحتد
إن مسّ عرضه فليس بحىّ
وبما أنك قد جئت
لتنتقم من الهوان
كما سبق لك نفسك أن قلت
فإذن لم أعطك أنا الحياة
لأنك لم تأت بها
فحياة العار ليست حياة
(على حدة) لعلى بهذا أن أستثيره

روســـاورا : اعترف بأنى لا حياة لى
وإن كنت منك قد تلقيتها
لكنى أرجو بالانتقام
أن أترك شرفي من النقاء
بحيث تبدو حياتى جديرة
بعد تجاوز الأخطار
بأن تكون نعمة منك

كلوتـــالدو : تناول هذا السيف الصقيل
الذى أحضرت فإنى أعلم
أنه يكفى أن تصبغه
بدم عدوك كى تنتقم
لأن سيفا كان لى
(أقصد الآن ، هذه اللحظة
عندما كان بيدى)
سيعرف كيف ينتقم لك

روســـاورا : باسمك
أتقلده لثانى مرة .
وأقسم به على الانتقام
حتى ولو كان عدوى
أكثر قدرة

كلوتـــالدو : لهذا الحد ؟

روســـاورا : كثيرا ولن أقول لك من هو
لا لأنى لست أثق
بحكمتك فى عظيم الأمور
ولكن حتى لا تنقلب
ضدى النعمة التى أستغربها
من عطفك علىّ

كلوتـــالدو : بل أعتقد
أنك تكسبنى إن قلت لى من هو
إذ تسد علىّ الطريق
حتى لا أساعد عدوك

(على حدة) آه لو عرفت من هو !

روســـاورا : لكيلا تظن أننى أبخس
هذه الثقة حق قدرها
فأعلم أن عدوى ليس إلا
« أستولفو » دوق موسكوبيا

كلوتـــالدو : (على حدة) (ليس بوسعى أن أقاوم
هذا الألم لأنه أخطر
مما كنت أخال وأرى
فلنتحقق أكثر من الموقف
لو كنت ولدت بموسكوبيا
وهو سيدها الطبيعى
فبئس ما يمكنه أن يهينك
اذن فلتعد إلى وطنك
واترك هذا الاندفاع الطائش
الذى سيوردك المهالك

روســـاورا : إننى أعرف
أنه بالرغم من كونه أميرى
فقد ارتكب فى حقى إثما

كلوتـــالدو : لا يمكنه
حتى لو كان قد وضع بجرأة
يديه على وجهك (على حدة) يا للسماء !

روســـاورا : إهانته لى أعظم من ذلك

كلوتـــالدو : قل لى عليها فلن تستطيع
أن تقول أكثر مما أتصور

روساورا : أود أن أقول . . لكنى لا اعرف
بأى احترام أنظر اليك
وبأى اعزاز أوقرك
وبأى تقدير أمثل أمامك
حتى لا أجرؤ أن أقول لك
أن هذا الرداء الخارجى
لغز هو وليس لمن
يبدو في الظاهر . فاحكم وقد نبهتك
إن لم أكن كما أبدو في الظاهر
لقد جاء أستولفو ليتزوج
باستريا وفي هذا
هذا اهانة لى . . وحسبى فقد أوضحت
(يذهب كل من روساورا وكلارين)

كلوتالدو : اسمع ، انتظر ، توقف !
أى متاهة غامضة
هى هذه حيث لا يمكن
العثور على خيط الصواب
إن شرفي هو المعتدى عليه
وقدير هو العدو
أنا تابع وهى امرأة
فلتهدنى السماء الطريق
مع أنى لا أعرف ان كان ممكنا
في مثل هذه الهوة الغامضة
والسماء كلها منذرة
والعالم كله أعجوبة

الفصل الثاني

المشهد الأول

بهو في القصر الملكى ، باسيليو وكلوتالدو

كلوتالدو : كل شىء كما أمرت
قد نفذ

باسيليو : ارو لى يا كلوتالدو
كيف حدث

كلوتالدو : تم مولاى بهذه الطريقة
جئنا أولا بشراب مهدئ
وقد ملىء بالأخلاط
كما أمرت ثم مزجناه
ببعض خواص العشب الحميد
ذات القدرة الطاغية
وذات القوة الخفية
وهكذا للعقل البشرى
تسلبه ، تسرقه ، تستعبده
وتترك جسدا حيا
أى إنسان وقوتها
تنيمه وتسلبه
حواسه وملكاته
– وليس علينا أن نبرهن

أن هذا في الإمكان
فكم من مرة يا سيدى
حدثتنا التجربة
ـ وهذا صحيح ـ أن الطب
ملىء بالأسرار الطبيعية
وأنه ما من حيوان
ولا زرع ولا حجر
ليس له نوع محدد ولو توصلت
طبيعتنا الإنسانية الشريرة
لجربت ألف سم
يعطى الموت فهل هو كثير
عليه أن يخمد داعى العنف ؟
إذ أن من السموم ما يقتل
ومن السموم ما ينيم .
ولنترك جانبا هذا الشك
ان كان ممكنا أن يحدث هذا
فقد أصبح ثابتا الآن
بالبداهة والبراهين . . ـ
وبالفعل أخذت الشراب
بعد أن أضيف إليه
البنج المنوم والأفيون
وهبطت به للسجن الضيق
إلى سيخسموندو ثم أخذت
أحدثه بعض الوقت
عن الآداب الإنسانية

التى كان قد تعلمها
من الطبيعة الصماء
في الجبال وفي السماوات
حيث تعلم البلاغة
في معاهدها الإلهية
من الطيور والوحوش
ولكى أرتفع بروحه أكثر
للمهمة التى تنشدها
جعلت موضوعا لى
سرعة النسر الوفيرة
وهو يحتقر مدارج الريح
ويصبح في الأجواء العليا
من النار شعاعا من ريش
او نيزكا قد انطلق
وأطريت التحليق السامق
قائلا « ألست أنت الملك
على الطير ومن العدل »
أن تفوقها جميعا ؟ »
ولم يحتج لمزيد عناء
اذ بمجرد أن نمس
موضوع الجلالة يجمح به
الطموح والكبرياء
لأن دمه في واقع الأمر
يحثه ، يحركه ، يغريه
لعظائم الأمور ، فطفق يقول :

« انه في الجمهورية المضطربة
للطيور يوجد أيضا
من تحلف له يمين الطاعة
وعندما أصل لهذا التفكير
فإن شقوتى تكون سلواى
لأنى على الأقل إن كنت
خاضعا فبالقوة
ولو كنت بإرادتى
لما خضعت لإنسان آخر »
وعندما رأيته وقد استبد به الغيظ
لهذا لأن الموضوع
يوجعه صببت له
من النقيع ولم يكد الشراب
يتجاوز الكأس إلى جوفه
حتى انهارت قواه واستسلم
للنوم وسرى في أعضائه
وعلى عروقه العرق البارد
بطريقة حتى أننى لو لم أكن أعرف
أنه موت زائف لشككت
في حياته ، وحينئذ وصل
.الناس الذين تأتمنهم
على قيمة هذه التجربة
ووضعوه في مركبة
وحملوه إلى جناحك
حيث كان قد هيئت له

مظاهر الجلالة والعظمة
التى تليق بشخصيته
وهناك في سريرك أرقدوه
وفي نفس الوقت الذى سيفيق
فيه ويفقد المخدر قوته
يكون عليهم يا مولاى
خدمته مثلك كما أمرت
وإذا كنت لأنى أطعتك
أستحق منك بالضرورة
وساما فإنى أطلب فقط
— ولتغفر لى تلك الغفلة
أن تخبرنى ما هو قصدك
من أن تحضر بهذه الصورة
سيخسموندو إلى القصر ؟

باسيليـــو : هذا الشك الذى يعتريك
معقول جدا يا كلوتالدو
وأريد أن أرضيك فقط .
ان سيخسموندو ابنى
بتأثير من نجمه
(كما تعرف جيدا) يهدد
بألف مصيبة ومأساة
وأريد أن أجرّب لو أن السماء
— ومحال عليها أن تكذب
خاصة وأنها قد أظهرب

من قسوتها دلائل كثيرة
على طبيعته الجبارة —
إما أن تخفف أو تتلطف
على الأقل وتتراجع مغلوبة
أمام الشجاعة والحكمة لأن الإنسان
عليه أن يسيطر على النجوم .
هذا ما أريد أن أجربه
بإحضاره حيث يعرف
أنه ابنى وحيث يقدم
الدليل على موهبته
فان اجتاز هذه التجربة وحكم بالعدل
كان له أن يتولى الملك ، لكن إن أظهر
طبيعة قاسية طاغية
فسأعيده إلى قيوده .
أما الآن فإنك ستسأل
من أجل تلك التجربة :
لماذا اهتممنا بأن نحضره
منوّما بتلك الطريقة ؟
وأنا أريد أن أرضيك
وأعطيك على كل شيء جوابا
فلو أنه عرف أنه ابنى
اليوم وغدا رأى نفسه
رهينا مرة أخرى
لسجنه وبؤسه
فمن المؤكد لطبيعته

أن يغلب عليه اليأس
لانه لو عرف من هو
فأى عزاء سيبقى له ؟
وهكذا أردت أن أترك
الباب مفتوحا للضرر
ليقول إنه كان يحلم
بكل ما رأى وبهذا أصل
لاختبار شيئين :
أولهما طبيعته
إذ أنه صاحيا سيسلك
طبقا لما يتخيل ولما يفكر
وثانيهما هو السلوى
لأنه إن كان سيرى نفسه الآن
مطاعا ثم بعد ذلك
يعود لسجنه
يمكنه أن يفهم انه كان يحلم
وحسنا يفعل لو أدرك ذلك
لأنه في هذه الدنيا يا كلوتالدو
كل من يحيا فهو يحلم

كلوتالدو : لا تنقصنى بعض الدلائل
المثبتة أن الصواب جانبك
على أن هذا لا علاج له الآن .
وهناك ما يدل
على أنه قد استيقظ
وأخذ يقترب نحونا

باسيليـــو : أنا أريد أن أنسحب
أنا أنت فصر اليه بوصفك مربيا له
وحاول في غمرة هذا الاضطراب
الذى يحاصر تفكيره
أن تواجهه بالحقيقة

كلوتـــالدو : أخيرا . . فأنت تأذن لى
لأقولها له ؟

باسيليـــو : أجل . .
فربما يكون ، عندما يعرفها
ونعرف الخطر ،
أسهل علينا أن نتغلب عليه
(يذهب)

المشهد الثاني

كــلارين – كلوتـــالدو

كــلارين : (على حدة) لقد كلفنى الوصول هنا
أربع عصى
من حارس أشقر
لحيته بلون ردائه الأحمر
وعلىّ أن أرى كل ما يحدث
فليس هناك نافذة أصح
من هذه فبدون رجاء
لحامل بطاقات الإذن
يحضرها معه الإنسان

وهو على كل الأعياد
يروح يطل بلا حياء
ذكى الجنان خالى الوفاض

كلوتـــالدو : (على حدة) هذا كلارين الخادم
لتلك ، يا للسماء ، لتلك
التى جاءت من بولونيا
بعارى تتاجر بالشقاء
(إلى كلارين) هل هناك من جديد يا كلارين ؟

كــلارين : أجل . . هناك
يا مولاى رحمتك العظيمة
وقد استعدت لتثأر من المهانة
التى لحقت « بروساورا » فنصحتها
بأن ترتدى ملابسها الخاصة

كلوتـــالدو : وهذا حسن لكيلا تبدو
في مظهر بعيد عن اللياقة

كــلارين : وهناك أنها وقد غيرت
اسمها بحذر ثم انتحلت
اسم بنت أخ لك
فزاد اليوم شرفها كثيرا
حتى أصبحت وصيفة الآن
في قصر « استريّا » الفريدة
تعيش

كلوتـــالدو : حسن أيضا لو أنها دفعة واحدة
وعلى حسابى استردت شرفها

كـلارين : وهناك أنها الآن في انتظار
أن تسنح الفرصة ويحين الأوان
لكي تعود من أجل شرفها

كلوتالدو : ان هذا احتياط أكيد
لأن الزمن ينبغي أن يكون في آخر الأمر
هو الذى يقضى في هذه المساعى

كلارين : وهناك . . أنها تقدم إليها الهدايا
وتحاط بالرعاية كأنها ملكة
على اعتبار أنها بنت أخيك
وهناك أننى وقد جئت معها
أكاد أموت من الجوع
دون أن يذكرنى أحد
أن يرى أننى نفير (١)
وأن النفير إن صدرت عنه أصوات
يمكنه أن يتحدث عن كل ما يحدث
الى الملك وأستولفو واستريّا
لأن الخدم والأبـواق
شيئان بئسما يحفظان السر
ومن الممكن
لو أن الصمت فارقنى لحظة

(١) يتلاعب الشاعر باسم « كلارين Clarin » الذى يعنى بالاسبانية البوق
نفير ، ومن الطريف ان الاستاذ نجاة قصاب حسن الذى نشر فى دمشق سنة
تعريبا لهذه المسرحية عن نص فرنسى مقتبس بتصرف من الاصل الاسبانى
جم اسم هذه الشخصية وجعله « مزمار » ونحن وان كنا لا نقر ترجمة الاسماء
مدى ما فى ذلك من ظرف وايحاء . ـ المترجم

أن تصدق فيّ كلمات الأغنية :
« نفير إذا بزغ الفجر
فهو خير ناطق »

كلوتالدو : شكواك لها ما يبررها
وأنا كفيل بما يرضيك
وأنا كفيل بما يرضيك
فاعمل اذن في خدمتي

كلارين : هذا سيخسموندو قد وصل

المشهد الثالث

يغنى الموسيقيون ، بينما الخدم يساعدون سيخسموندو على ارتداء ملابسه ثم لا يلبث أن يخرج وهو مشدوه ، كلوتالدو ـ كلارين .

سيخسموندو : يا للسماء ماذا أرى ؟
يا للسماء ماذا أشهد ؟
بشىء من الرهبة أعجب لهذا
وبكثير من الشك أكاد أصدقه
أأنا . . في قصور رحبة ؟
هل أنا بين وشى وحرير ؟
هل أنا الذى يحيطنى الخدم
بمثل هذا التألق والحفاوة ؟
هل أنا الذى صحوت من النوم
في مثل هذا الفراش الوثير ؟
هل أنا . . وسط هذا الحشد من التاس
وهم يساعدوننى في اللبس ؟

ولو قلت إنه حلم لكان خداعا
فإنني أعرف جيدا أنني يقظ
هل أنا سيخسموندو لست أنا ؟
أعطني يا سماء منك الهداية
وقولي لي ماذا يمكن أن يكون
هذا الذي حدث لخيالي
بينما كنت دائما .
وكيف وصلت لهذا المكان ؟
لكن . . ليكن ما يكون
فمن ذا يدفعني الآن للتفكير
دعونا من ذلك فالخدمة أريد
وليأت ما يأتي .

الخادم الأول : (موجها الحديث إلى الخادم الثاني وإلى كلارين)
لكم أراه مكتئبا !

الخادم الثاني : ومن ذا الذي يحدث له
هذا ولا يكون كذلك ؟

كلارين : إليّ

الخادم الثاني : بوسعك الآن أن تكلمه

الخادم الاول : أيعودون الآن إلى الغناء ؟

سيخسموندو : لا
لا أريدهم أن يغنوا أكثر

الخادم الأول : لأنك بمثل هذه الحيرة
أردنا أن نلهيك

سيخسموندو : أنا
ليس لي أن أتلهى
بأصواتهم عن أحزاني
فلست أحب إلا سماع
الموسيقى العسكرية

كلوتالدو : جلالتك ، مولاي العظيم
أعطني يدك لأقبلها
حتى أحظى بشرف أن أكون
أول من قدم فروض الطاعة

سيخسموندو : (على حدة) إنه كلوتالدو ، فكيف يعاملني
هكذا بمثل ذلك الاحترام
وهو الذي يسيء إليّ في السجن ؟
أي شيء يحدث لي ؟

كلوتالدو : هذه البلبلة العظيمة
التي تضعك فيها حالتك الجديدة
تجعلك تعاني آلاف الشكوك
في عقلك وتفكيرك
لكني أريد الآن تحريرك
منها جميعا لو كان من الممكن
لأنه يجب ياسيدي أن تعرف
أنك الأمير وليّ العهد
في بولونيا وأنك إن كنت
قد أبعدت أو أخفيت
فإن هذا قد يكون خضوعا

ولو قلت إنه حلم لكان خداعا
فإنني أعرف جيدا أنني يقظ
هل أنا سيخسموندو لست أنا ؟
أعطني يا سماء منك الهداية
وقولي لي ماذا يمكن أن يكون
هذا الذي حدث لخيالي
بينما كنت دائما .
وكيف وصلت لهذا المكان ؟
لكن . . ليكن ما يكون
فمن ذا يدفعني الآن للتفكير
دعونا من ذلك فالخدمة أريد
وليأت ما يأتي .

الخادم الأول : (موجها الحديث إلى الخادم الثاني وإلى كلارين)
لكم أراه مكتئبا !

الخادم الثاني : ومن ذا الذي يحدث له
هذا ولا يكون كذلك ؟

كلارين : إليّ

الخادم الثاني : بوسعك الآن أن تكلمه

الخادم الاول : أيعودون الآن إلى الغناء ؟

سيخسموندو : لا
لا أريدهم أن يغنوا أكثر

الخادم الأول : لأنك بمثل هذه الحيرة
أردنا أن نلهيك

سيخسموندو : أنا
ليس لي أن أتلهى
بأصواتهم عن أحزاني
فلست أحب إلا سماع
الموسيقى العسكرية

كلوتالدو : جلالتك ، مولاي العظيم
أعطني يدك لأقبلها
حتى أحظى بشرف أن أكون
أول من قدم فروض الطاعة

سيخسموندو : (على حدة) إنه كلوتالدو ، فكيف يعاملني
هكذا بمثل ذلك الاحترام
وهو الذي يسيء إليّ في السجن ؟
أي شيء يحدث لي ؟

كلوتالدو : هذه البلبلة العظيمة
التي تضعك فيها حالتك الجديدة
تجعلك تعاني آلاف الشكوك
في عقلك وتفكيرك
لكني أريد الآن تحريرك
منها جميعا لو كان من الممكن
لأنه يجب ياسيدي أن تعرف
أنك الأمير وليّ العهد
في بولونيا وأنك إن كنت
قد أبعدت أو أخفيت
فإن هذا قد يكون خضوعا

لقسوة القدر
الذى أنذر بألف مأساة
تحل بالامبراطورية عندما
يتوج جبينك المهيب
بإكليل الغار الرفيع
لكن ثقة في نواياك
بأن تقهر النجوم
إذ من الممكن أن يغلبها
رجل عالى الهمة
فأحضروك إلى القصر
من البرج حيث كنت تعيش
بينما كانت روحك
قد استسلمت للنوم
أبوك الملك مولاى
سيأتى ليراك ومنه ستعرف
البقية ياسيخسموندو

سيخسموندو : لكن ، أيها الخائن الوغد الحقير
ماذا علىّ أن أعرف أكثر
بعد أن عرفت من هو أنا ؟
كى أظهر لكم منذ اليوم
كبريائى وسطوتى .
وكيف ارتكبت في حق وطنك
تلك الخيانة إذ أخفيتنى
ثم إنك أنكرت علىّ

ضد العقل والقانون
ما كنت جديرا به

كلوتـــالدو : آه علىّ يالحزنى

سيخسموندو : لقد كنت خائنا للقانون
ومنافقا مع الملك
أما معى فقد كنت قاسيا
وهكذا فانى والملك والقانون
بين هذه الرزايا القاسية
تدينك حتى الموت
بيدىّ .

الخادم الثانى : مولاى .

سيخسموندو : كلا . .
لا أحد يعوقنى فباطل
أى مسعى وأقسم بالله
إن وضعت نفسك أمامه
لألقينك من النافذة

الخادم الثانى : اهرب أنت يا كلوتالدو

كلوتـــالدو : ويل منك
أى خيلاء أخذت تظهر
دون أن تعرف أنك تحلم

(يذهب)

الخادم الثانى : فلتلاحظ . .

سيخسموندو : ابتعد عن هنا

الخادم الثانى : إنه كان يطيع ملكه

سيخسموندو : فيما ليس قانونا عادلا
لا ينبغى أن يطيع الملك
ثم إننى كنت أميره

الخادم الثانى : لم يكن يجب عليه أن يختبر
إن كان حسنا ما يفعله أم شرا

سيخسموندو : أظن أنك تسيء صنعا
إذ تضطرنى لأن أرد عليك

كلارين : حسنا جدا يتكلم الأمير
وأما أنت فبئس ما صنعت

الخادم الثانى : من ذا أعطاك مثل هذا الإذن ؟

كلارين : أخذته بنفسى

سيخسموندو : ومن أنت ؟
تكلم

كلارين : فضولى دخيل
غير أننى رب هذه الصنعة
لأننى أنا الإمّعة الأكبر
الذى عرف هنا

سيخسموندو : في مثل هذا العالم الجديد
ما سرنى إلا أنت

كلارين : مولاى :
إنى أكبر مضحك
لكل من هو سيخسموندو

المشهد الرابع

أستولفو — سيخسموندو — كلارين — خدم — موسيقيون

أستولفو : يوم سعيد ألف مرة
هذا الذى تبرزون فيه
أيها الأمير شمسا لبولونيا
وتملأون تألقا وسرورا
كل هذه الآفاق
بهالات قدسية متوردة
إذ أنكم تشرقون كالشمس
من بين رحاب الجبال
فلتخرج إذن وإن كنت قد تأخرت
ولتتوج جبهتك
بعقود الغار المزدهرة
وليمت المساء.

سيخسموندو : حفظك الله

أستولفو : ان كنت لم تتعرف علىّ
فإنى فقط ألتمس لك العذر
اذ لم تشرفنى أكثر لأنى
أنا أستولفو دوقا ولدت
في موسكوبيا وأنا ابن عمتك
فلتكن هناك مساواة بين الاثنين

سيخسموندو : إن كنت قد قلت حفظك الله
ألم أظهر لك الرضا الكافي ؟
لكن بما أنك جعلت تتفاخر

بمن أنت فسوف تشتكى
مرة أخرى عندما ترانى
اذ سأدعو الله أن لا يحفظك

الخادم الثانى : (إلى أستولفو) ليأخذ سموكم في اعتباره
أنه وقد ولد بين الجبال
فإن سلوكه مع الجميع . .
(إلى سيخسموندو) أستولفو يفضل يا مولاى . .

سيخسموندو : لقد ضقت به عندما وصل
بتثاقل يحدثنى وأول ما فعل
هو أنه لبس القبعة

الخادم الثانى : إنه كبير

سيخسموندو : وأنا أكبر

الخادم الثانى : ومع كل هذا فبين الاثنين
يجدر أن يسود الاحترام
أكثر مما بين الآخرين

سيخسموندو : ومن ذا الذى
يغريك دائما بالتدخل في شئونى ؟

المشهد الخامس

نفس الاشخاص — استريّا

أستريّــا : يا صاحب السمو ليكن مقدمك
مقابلا منا بعظيم التّرحيب
بين أروقة لك شاكرة

تتلقاك وتتمنى لك
ان تعيش بالرغم من الخداع
وأنت عظيم القدر مهيب
حيث يعد عمرك
بالقرون لا بالسنين

سيخسموندو : (إلى كلارين) قل لى أنت الآن من هى هذه
تلك الفاتنة العلوية ؟
من هى هذه الإلهة البشرية
التى سخرت لها السماء
تحت قدميها حمرتها الوردية ؟
من هى هذه المرأة الحسناء ؟

كلارين : إنها سيدى استريّا بنت عمتك

سيخسموندو : أولى بك أن تقول الشمس (١)
(إلى استريّا) ان مجرد رؤيتك اليوم
بالرغم من أن التّرحيب جميل
يجعلنى أقبل منك التّرحيب
وهكذا فعندما أصل
لأرى الخير الذى لا أستحق

(١) يلاحظ القارىء ان الشاعر يتلاعب بمعانى الأسماء ، لأن كلمة ...la
المسماة بها هذه الأميرة معناها نجم او كوكب ، وهنا تجدر الاشارة الى شـ...
احدهما ان هذه التسمية ربما كانت من بعض الآثار العربية فى التقاليد الا...
الاسبانية . والشيء الآخر ان الشمس بالنسبة للشاعر الاسبانى — ...
عموما — مثلها فى ذلك مثل القمر عند الشاعر العربى هى النموذج الاعلى ...
الانثوى ، ولعل هذا متأثر باجوائهم الباردة التى تنبعث فيها الشمس بدفـ...
وطاقة الجمال ، اما فى الصحراء العربية فليس هناك الا القمر تنزل عل...
بردا وسلاما بعد قيظ النهار — المترجم .

فانى أشكر لك الترحيب
ألا يا « كوكب » فلتشرقي
بكل ما في وسعك وامنحى الفرحة
منك لأضوأ منار
وماذا تركت للشمس كى تفعل
ان أنت صحوت مع النهار ؟
أعطنى يدك لأقبلها
حيث ينهل النسيم من كأس بردها
الصدق والطيبة

أستريـــا : لتكن أكثر احتشاما في إطرائك

أستولفـــو : (على حدة) ضعت أنا

الخادم الثانى : (على حدة) (عرفت الأسف
على استولفو وسوف أزيله)
سيدى ينبغي عليك أن تراعى
أنه ليس عدلا أن تجرؤ هكذا
بمحضر من أستولفو مع أنه . .

سيخسموندو : ألم أقل لك
لا تتدخل في شئونى ؟

الخادم الثانى : إننى أقول ما هو حق

سيخسموندو : اما أنا
فكل هذا يثير غضبي
فلا شيء يبدو لى حقا
إن هو تعارض مع رغبتى

الخادم الثانى : لكننى يا سيدى سمعت منك
أن الطاعة والخدمة خير
فيما هو عدل وحق

سيخسموندو : كما سمعتنى أيضا أقول
أننى لو مللت من أحد
فسأعرف كيف أقذفه من الشرفة

الخادم الثانى : مع رجل مثلى
لا يمكن أن يفعل ذلك

سيخسموندو : لا !
والله لا بد أن أجرّب هذا !
(يمسكه من ذراعيه ويدخل به والجميع من خلفه
ثم لا يلبث أن يعود لتوه)

أستولفـــو : ما هذا الذى بلغت أن أرى ؟

أستريـــا : ليذهب الجميع وليمنعوه !

(تذهب)

سيخسموندو : (عائدا) من الشرفة سقط إلى البحر
سبحان الله إذ أمكن الأمر !

أستولفـــو : عليك أن تقيس بتروّ أكثر
أعمالك العنيفة
ففرق ما بين الإنسان والوحش
هو الفرق بين الجبل والقصر

سيخسموندو : لو ظللت تتكلم بلهجة شديدة

مثل هذه وبكل جلد
فربما التفتّ فلم تجد رأسك
الذى تضع عليه القبعة .
(يخرج أستولفو)

المشهد السادس

باسيليو — سيخسموندو — كلارين — خدم

باسيليو : ما هذا الذى جرى ؟
سيخسموندو : لم يكن شيئا
غير أن رجلا أتعبنى
فرميته من الشرفة
كلارين : (إلى سيخسموندو) إنه الملك فلتكن حذرا
باسيليو : بسرعة هكذا يكلف وصولك
في أول يوم حياة إنسان ؟
سيخسموندو : لقد قال لى لا يمكنك
أن تفعل هذا فكسبت الرهان
باسيليو : يحزننى كثيرا أننى عندما
جئت لأرى فيك الأمير
وكنت أظن أننى سأجدك حذرا
منتصرا على القدر والنجوم
لكن أراك بهذه القسوة
ويكون أول عمل لك

تفعله في هذه المناسبة
جريمة قتل خطيرة
فبأى حب يمكن لى
أعطيك الآن ذراعى
ان كنت أعرف ان مكيدة خيلائك
قد أخذت تعلمك
القتل ومن ذا يصل
ليرى الخنجر المجرد
وهو يشق الطعنة القاتلة
ثم لا يخشى ؟ ومن ذا يرى
المكان الدامى
حيث قتل إنسان آخر
ثم لا يأسف ؟ فإن الأقوى
سيستجيب لطبيعته
وأنا هكذا أرى ذراعيك
وقد كانا أداة لهذا القتل
وأنظر إلى المكان الدامى
فأنسحب من بين ذراعيك
بالرغم من أننى كنت قد فكرت
أن أطوق عنقك بروابط الحب
فسوف أعود دون أن أفعل ذلك
لأننى أخاف من ساعديك
سيخسموندو : وبدون هذا يمكننى أن أظل
كما كنت حتى الآن

فان أبا قد عرف أن يستخدم
ضدى مثل تلك القسوة
وأبعدني عن جانبه
بهذه الطبيعة الجاحدة
ورباني كما لو كنت حيوانا
وعاملني كمسخ غريب
كما طلب لى الموت
فليس مهما اذن
إن لم يعطني ذراعيه
وقد نزع مني إنسانيتي

باسيليو : أضرع لله وللسماء
أن لا أمد اليك يدى
وأن لا أسمع منك صوتا
وأن لا أرى جرأتك

سيخسموندو : لو لم تكن مددتها إلىّ
ما شكوت أبدا منك
لكن ما دمت مددت نعم
لأنك قد سحبتها مني
لأن العطاء إن هو كان
عملا فريدا أكثر نبلا
فهو يتحول أدنأ شيء
إن أعقبه نزع ما وهب

باسيليو : ما أحسن امتنانك أن رأيت نفسك

وقد تحولت من سجين مسكين ذليل
فصرت الآن أميرا !

سيخسموندو : أجل هوذا .
لكن قل لى ماذا أشكر ؟
يا طاغيا سلبني الارادة
إن كنت الآن عجوزا هرما
تموت فيم تنعم علىّ ؟
هل تعطيني أكثر مما هو لى ؟
أنت أبي وأنت الملك
لهذا فكل تلك العظمة
إنما تمنحها الطبيعة لى
بحكم حق قانونها
وبالرغم من أنني في هذا الوضع
فلست مدينا لك بشيء
بل يمكنني ان أناقشك الحساب
عن الوقت الذى سلبتني فيه
الحرية والحياة والشرف
وهكذا فاشكرني أنت
لأنني لن أقبض منك
فإنك أنت المدين لى

باسيليو : يا لك من همجيّ جرىء
حقت عليك كلمة السماء
وها أنذا أضرع إليها
بكبرياء واضمحلال
ومع أنك تعرف الآن من هو أنت

وزالت عنك الغشاوة
ووجدت نفسك في هذا المكان
متفوقا على الجميع
فانظر جيدا ما أحذرك
وكن متواضعا لين الجانب
لأنه ربما كنت تحلم
مع أنك ترى نفسك يقظا
(يذهب)

سيخسموندو : ربما كنت أحلم
بالرغم من أنى أرانى يقظان ؟
أنا لا أحلم بك ألمس وأصدق
ما كنت فيه وما أنا عليه
ومع أنك نادم الآن
فقليلا ما يجديك هذا
أعرف من أنا ولن يمكنك
مهما تحسرت وأسفت
أن تنزع منى أنى ولدت
وريثا لك على هذا العرش
ومع أنك رأيتنى أولا
مستسلما لقيود السجن
فلأنى كنت أجهل من أنا
أما الآن فقد علمت
من أنا وأعرف أنى
من إنسان ووحش ركبت

المشهد السابع

روساورا في ملابس امرأة ، سيخسموندو — كلارين — خدم

روساورا : (على حدة) جئت في أعقاب استريّا
ولكم أخشى أن أحدث أستولفو
فإن كلوتالدو يرغب
أن لا يعرف من أنا وألا يرانى
لأنه يقول إن شرفي يهمه
وأنا أثق في كلوتالدو
وحبه وأشكر له اذ أنا مدينة له
هنا بالرعاية والشرف والحياة

كلارين : (إلى سيخسموندو) ما هو أحسن ما أمتعك
مما رأيت هنا وأعجبك ؟
مما رأيت هنا وأعجبك ؟

سيخسموندو : لم يدهشنى شىء أبدا
فقد أخذت لكلّ حذره
غير أننى لو كنت أعجب
لشىء في العالم لكان الجمال
في المرأة وقد قرأت
ذات مرة في كتاب لدى
أن المخلوق الذى اقتضى دراسة أعظم
من الله هو الإنسان لأنه عالم مصغر
غير أن ما يحيرنى
هو المرأة لأنها سماء صغرى
ولما تحويه من الحسن أكثر

من الرجل فهى تهبط من السماء للأرض
خاصة إن كانت مثل التى أرى

روسـاورا : (على حدة) الأمير هنا ، فعلىّ أن أنسحب

سيخسموندو : أيتها المرأة اسمعى ، قفى !
ولا تجمعى الشروق والغروب
بأن تهربى عند أول خطوة
فإنك لو خلطت الشرق بالغرب
والنور بالظلمة الباردة
فستكونين بلا شك حذفا للنهار
لكن . . ماذا أرى ؟

روسـاورا : نفسى ما أرى ، أشك وأعتقد !

سيخسموندو : (على حدة) لقد رأيت هذا الجمال
من قبل

روسـاورا : (على حدة) وهذه العظمة والأبهة
رأيتها من قبل وكانت محصورة
في سجن ضيق

سيخسموندو : (على حدة) « ها أنذا وجدت حياتى »
أيتها المرأة وهذه التسمية
هى أحسن غزل عند الرجل
من أنت ؟ فبدون أن أراك
فأنت مدينة لى بالهيام ولحسن الحظ
فإنى أغزوك بثقة
وأنا مقتنع بأنى رأيتك مرة من قبل
من أنت أيتها المرأة الجميلة ؟

روسـاورا : (على حدة) من مصلحتى أن أداريه
لست إلا وصيفة شقية
للأميرة استريّا

سيخسموندو : لا تقولى هذا فأنت شمس من شعلتها
تعيش تلك النجمة
اذ من شعاعك تقتبس التألق
وقد رأيت في مملكة الروائح
ألوهية الوردة
وهى ترأس كتيبة الزهور
وكانت امبراطورتها لأنها أكثر جمالا
ورأيت بين الأحجار الكريمة
بين معهد المعادن النفيسة
تفضيل الماس
وجعله امبراطورها لأنه ألمعها
ورأيت في هذا البلاط الجميل
لجمهورية النجوم القلقة
في المقام الأول
الزهرة ملكة على النجوم
وبين الأفلاك الكاملة
حيث تدعو الشمس إلى بلاطها الكواكب الدوارة
رأيتها ترأسها
لأنها أعظم الأقداس في النهار
فكيف نرى الزهور والنجوم
والأحجار والعلامات والكواكب السيارة
تقدم الأجمل عليها وأنت تخدمين

من هى أقل حسنا منك مع أنك
لأنك أعظم فتنة وجمالا
شمس وزهرة وماسة وكوكب ووردة ؟

المشهد الثامن

كلوتالدو من وراء حجاب — سيخسموندو — روساورا
كلارين — خدم

كلوتــالدو : (على حدة) لى رغبة أن أقصر سيخسموندو
لانني في النهاية الذى ربيته ، لكن أى شيء أرى . !

روســاورا : إننى أحترم فضلك
فليجبك ببلاغة الصمت
فعندما يضطرب العقل هكذا يا سيدى
فان خير من يتكلم هو خير من يصمت

سيخسموندو : انتظرى ، لا ينبغى أن تغيبى
كيف تريدين بهذه الطريقة
ترك حواسى في الظلام

روســاورا : أرجو من سموك الإذن لى

سيخسموندو : ان تذهبى بهذا الاقتسار
فأنت لا تطلبين الإذن بل تأخذينه

روســاورا : ان لم تعطنى اياه أرجو أن آخذه

سيخسموندو : ستجعليننى أتحول من مؤدب لفظ
لأن مقاومتى
لصبرى سم زعاف

روســاورا : وعندما يكون هذا السم

مليئا بالغيظ والحنق والغم
ويقهر الصبر
فلن تجرؤ احتراما لى ولن تقدر

سيخسموندو : لمجرد أن أرى إن كنت أقدر
ستجعليننى أفقد الخوف من جمالك
لأن ميلى شديد
لقهر المستحيل وقد قذفت اليوم
من هذه الشرفة برجل كان يقول
إننى لا أستطيع ان أفعل ذلك
وهكذا لأرى ان كنت أستطيع وهو شيء يسير
سأرمى بشرفك من النافذة

كلوتــالدو : (على حدة) ها هو ذا يمعن في التورط
فماذا أفعل بحق السماء
عندما أرى رغبته المجنونة
تهدد شرفي للمرة الثانية ؟

روســاورا : لم يكن عبثا ما توقعوا
لهذه المملكة الشقية من طغيانك
الفضائح المدوية
والجرائم والخيانات والغضبات والأموات
لكن ماذا ينتظر من رجل
ليس له من الإنسانية إلا اسمه
جرىء لا إنسانى
عنيف متكبر همجى طاغية
قد ولد بين الوحوش ؟

سيخسموندو : لانك لم تقولى لى هذا الباب
أظهرت لك مثل ذلك الأدب
وكنت أفكر أننى بهذا سوف ألزمك
غير أننى وقد تكلمت بهذه الطريقة
فعليك أن تقوليه ، سبحان الله ! أنتم جميعا
هيا اتركونا وحدنا وهذا الباب
ليغلق ولا يدخلن أحد
(يمتثل كلارين والخدم ويخرجون)

روساورا : (على حدة) أصبحت في عداد الاموات)
لكن لاحظ . .

سيخسموندو : إنى طاغية
وعبثا تحاولين الآن إخضاعى

كلوتالدو : (على حدة) آه ، إنه ينطلق بقوة عاتية
سأخرج لمنعه ولو قتلنى)
مولاى انتبه . . انظر
(يصل إلى مكانه)

سيخسموندو : للمرة الثانية تثيرنى للغضب
أيها العجوز الهرم المجنون
فهل تستخف بشدتى وسخطى ؟
وكيف وصلت لهذا المكان ؟

كلوتالدو : بنبرات هذا الصوت تنادى
وتقول لك بأن تكون
أكثر وداعة إن أردت الملك .

وأن لا تكون إذ ترى نفسك سيد الجميع
قاسيا فربما كنت في حلم

سيخسموندو : لكم تستثير غضبى المسعور
عندما تمس نور زوال الوهم
فسأرى وأنا أقتلك
إن كنت أحلم أم هذا حقيقة
(عندما يذهب ليتناول السيف يستوقفه كلوتالدو
ويركع امامه ممسكا بيده)

كلوتالدو : أما والأمر هكذا
فأنا أرجو أن أتحرر من الحياة

سيخسموندو : ارفع يدك الجريئة عن الصلب !

كلوتالدو : إلى أن يأتى بعض الناس
ويهدئوا سورة غضبك وعنفك
فلن أطلقك .

روساورا : يا للسماوات . . آه !

سيخسموندو : قلت لك أطلق يدىّ
أيها الهرم المجنون العدو الوحشى
(يشتبكان في عراك)
سأقتلك الآن بين ذراعىّ

روساورا : أقبلوا كلكم سراعا
فهو يقتل كلوتالدو
(تذهب) .

(يخرج أستولفو في نفس الوقت الذى يجثو فيـه

كلوتالدو على قدميه ويحول بينهما أستولفو واقفا في الوسط) .

المشهد التاسع

أستولفو – سيخسموندو – كلوتالدو

أستولفو : لكن أى شيء هذا أيها الأمير الكريم ؟
أهكذا يلوث سلاح بالغ اللمعان
بدم مثلج ؟ (١)
فأعد للغمد سيفك الوضاح

سيخسموندو : بعد أن أراه قد اصطبغ
بهذا الدم الحقير

أستولفو : لكن حياته
قد اتخذت عند قدميّ قدسا لها
ولا بد أن وصولى هنا ينفعه في شيء

سيخسموندو : ينفع للموت ، فبهذه الطريقة
سأعرف أيضا كيف أنتقم بموتك
من ذلك الغضب الذى فات

أستولفو : إننى أدافع
عن حياتى وهكذا لا أعتدى على الجلالة
(يستل سيفه ويتصارعان)

كلوتالدو : لا تتهجم عليه يا مولاى

---

(١) برودة الدم اشارة الى انه سيسفح دم عجوز لا يتكافأ معه فى الصراع لشيخوخته ولا ينبغي قتله لانه أعزل من السلاح لم تتقد فى عروقه حرارة المعركة – المترجم .

المشهد العاشر

باسيليو – استريا ومرافقوهما – سيخسموندو – أستولفو – كلوتالدو

باسيليو : أهنا تسل السيوف

أستريا : (على حدة) إنه أستولفو ، ويل لى من حزنى الغضوب

باسيليو : اذن . . ماذا حدث ؟

أستولفو : لا شيء سيدى ما دمت قد وصلت
(يغمد كل منهما سيفه)

سيخسموندو : بل كثير سيدى مع أنك أتيت
فإنى أردت قتل هذا العجوز

باسيليو : ألا تحترم
ذلك الشيب ؟

كلوتالدو : مولاى . . أنت ترى أنه لى
فليس بمهم

سيخسموندو : انه عبث
ان يرجى منى احترام الشيب
(إلى الملك) حتى من الممكن لهذه الشيبة
أن ترى يوما تحت قدمى
لأننى لم أنتقم حتى الان
من الطريقة الظالمة التى ربيتنى بها
(يذهب)

باسيليـــو : اذن قبل أن ترى هذا
ستعود لترقد حيث تظن
أن جميع ما مرّ بك
من متع الدنيا انما كان حلما .
(يذهب كل من كلوتالدو والمرافقين)

المشهد الحادى عشر

استريّا — أستولفو

ستولفـــو : ما أقل ما نجد القدر
عندما ينذر بسوء يكذب
فما أصدقه في المصائب
وأحراه بالشك في النعم
ما أحسنه من منجم إن كان
يعلن دائما حالات الكوارث
فليس هناك أدنى شك
أنها دائما ستصبح الحقيقة
ومعرفة هذه التجربة
ممكنة فيّ وفي سيخسموندو
يا استريّا ففى الاثنين
قد أظهر مختلف الدلائل
تنبأ له بالشدائد
بالصلف والشقوة والممات
وهذا كله يحدث في النهاية
فما قاله فيها جميعا حقيقة
وبالنسبة لى فإننى سيدتى

عندما أرى هذه الأشعة السنيّة
لمن كانت الشمس ظلا له
والسماء موجزا واهيا
وتنبأ لى بالحظوظ
بالانتصارات والهتافات والخيرات .
فقال شرا ، وقال خيرا
ومن العدل فقط أن يصيب
عندما يتوعد بالافضال
وينفذ حكمه بإباء

أستريّـــا : لست أشك أن هذه اللطائف
هى حقائق بديهية
بيد أنها ربما كانت لسيدة أخرى
كنت تعلق صورتها
في رقبتك عندما وصلت
وجئت أستولفو تنظر إلىّ
وما دام الامر هكذا فان هذا الغزل
لا يستحقه أحد غيرها
فاهرع اليها كى تدفع لك
فليست ادوارا حسنة
في مجلس الحب
تلك اللطائف وعلامات الوفاء
التى صنعت لتخدم
سيدات أخريات وملوكا آخرين

المشهد الثانى عشر

روساورا من وراء حجاب– استريّا – أستولفو

روساورا : (على حدة) حمدالله فقد وصلت
أحزانى القاسية الآن
لنهايتها فأن الذى
يرى هذا لايخشى شيئا

أستولفو : سأجعل الصورة تخرج
من الصدر حتى تدخل
صورة جمالك
فحيث تدخل «أستريّا»
لامكان للظلال ولاللنجم
حيث توجد الشمس ، سأذهب لأحضرها
(على حدة) معذرة لك ياروساورا الحسناء
هذه الإهانة فأن الغيبة
لايحفظ فيها عهد أكثر من هذا
بين الرجال وبين النساء
(يذهب بينما تتقدم روساورا)

روساورا لمأستطع أن أسمع شيئا
خشية أن يرانى

استريّا : أستريه (١) !

روساورا : سيدتى !

---

(١) هذا هو الاسم الذى انتحلته روساورا اخفاء لشخصيتها الحقيقية ، ويكتب هكذا Astrea وقد اضفنا اليه الهاء فى الآخر لتمييزه عن «استريا» – المترجم .

أستريّا : كم سرنى أن كنت أنت
من وصلت لهذا المكان
إذا أننى اليك وحدك
سأفضى لسرى .

روساورا : تشرفين
سيدتى من تطيعك

استريّا : فى الوقت القليل ياأستريه
الذى عرفتك فيه تحملين
مفتاتيح إرادتى
لهذا ولأنك من أنت
فاننى أجرؤ أن أأتمنك
على ماأخفيت مرات كثيرة
حتى عن نفسى

روساروا : أننى أمتك

أستريّا : أذن فلكى أقوله لك باختصار :
أن «أستولفو» وهو ابن خالتى
(ويكفى أن أقول إنه ابن خالتى
لأن هناك أشياء تقال
بمجرد أن نفكر فيها)
ينبغى أن يتزوج منى
هذا إن كان القدر يريد
بفرحة واحدة
أن يمحو كثيرا من الشقاء
وقد أحزننى فى أول يوم

أنه جاء معلقا في رقبته
صورة امرأة
وعندما تحدثت اليه عن ذلك بأدب
فهو غزل ومحب جيد
ذهب يحضرها وسيأتى بها
إلى هنا وأنا محرجة جدا
خشية أن يسلمها الىّ
فابقى هنا وعندما يأتى
قولى له أن يعطيها
لك أنت ولن أقول لك أكثر من ذلك
فأنت رصينة وجميلة
وتعرفين جيدا ماهو الحب
(تذهب)

المشهد الثالث عشر

روســـــاورا

ليتنى لم أكن أعرفه !
ياللسماء فمن ذا تكون
بالغة اليقظة والحكمة
حتى تعرف بماذا تنصح
اليوم في هذا الموقف العسير ؟
هل يوجد شخص في العالم
تصارعه السماء القاسية
بأكثر من هذه المصائب
أو تحاصره بأكثر من تلك الاحزان ؟

ماذا أفعل بين كل هذا الاضطراب
حيث يبدو من المستحيل
أن أجد سببا يخفف عنى
أو أجد فرجا يعزينى ؟
فمنذ أول الشقاء
لاتوجد واقعة أو حادثة
الا أضافت الىّ شقاء جديدا
الرزايا تأتى متتابعة
ويرث بعضها بعضا
فهى تقلد العنقاء (١)
فبعضها يولد من بعض
ويعيش مما يموت
ومن رمادها دائما
يكون اللحد ساخنا .
وقد قال أحد العلماء
إن المصائب تبدو له على درجة
من الجبن إذ لاتمشى إحداها بمفردها أبدا .
وأنا أقول إنها شجاعة
لأنها دائما تمضى قدما
ولاتولى أدبارها أبدا .
ويمكن لمن يحملها معه
أن يجرؤ على كل شىء

---

(١) طائر العنقاء طبقا لأساطير القدماء عندما يشعر بقرب موته يبنى
من خشب ذى ارومة طيبة ويمكث فيه معرضا للشمس حتى يموت ويفنى
رمادة تخرج دودة تتحول الى طائر آخر لايلبث حتى يشغل نفسه اولا بعمل
الجنازة لسلفه حاملا بقاياه الى مذبح الشمس فى هليوبوليس .

فليس له في أية حال
أن يخاف تركها له
أقول هذا وأنا التى
في كثير من فرص الحياة
لم أجد نفسى بدونها أبدا
ولم تمل ّ حتى رأتنى
وقد أصبحت جريحة القدر
بين ذراعى الموت
آه علىّ ، ماذا يجب علىّ ان أفعل
في هذه الفرصة الحاضرة ؟
ان قلت من أنا فان كلوتالدو
وهو الذى تدين حياتى له
بهذه الرعاية وذلك الشرف
يمكن له أن يغضب منى
إذ قال لى إنه بالصمت
أرجو نيل الشرف وغسل العار
فان كان لا يجب أن أقول من أنا
لأستولفو ووصل هو لرؤيتى
فكيف لى بأن أتوارى ؟
وحتى لو حاولت المداراة
بصوتى ولسانى وعيونى
فان الروح ستكذب دعواها
ماذا أفعل ؟ لكن لماذا أتدبر
ما سأفعله ان كان واضحا
أنه مهما اتخذت له الحذر

ودرست وفكرت
فعندما تصل الفرصة
علىّ أن أفعل ما يريده
الألم ؟ لأنه لا أحد
له سلطة على أحزانه
فإذا كانت النفس
لا تجرؤ على تحديد
ما ينبغى عليها أن تفعل
فليصل الالم إلى نهايته وليصل
الحزن لمداه ولتخرج
الشكوك والظنون
مرة واحدة ، لكن حتى تلك اللحظة
رحمتك أيتها السماوات رحمتك

المشهد الرابع عشر

أستولفو وقد أحضر الصورة — روساورا

أستولفـــو : هذه سيدتى هى الصورة
لكن . . آه . . يا إلهى !

روســـاورا : ماذا يدهش
سموكم ويروعكم ؟

أستولفـــو : لسماعك روساورا ورؤيتك

روســـاورا : أنا روساورا ؟ لقد خدعت
سموك إذ ظننت
أننى امرأة أخرى ولست
سوى أستريه ولا يستحق

تواضعي تلك السعادة الكبيرة
التي تكلفك هذا الاضطراب

أستولفو : حسبك روساورا هذا الخداع
فإن الروح لا تكذب أبدا
وحتى لو نظرت إليك على أنك أستريه
فإنها ستحبك على أنك روساورا

روساورا : أنا لم أفهم قصد سموك
وهكذا لا أعرف كيف أجيبك
وما سأقوله لك فحسب
هو أن استريا — وفي الإمكان
أن تكون فينوس — قد أرسلتني
كي أنتظرك في هذا المكان
وأن أقول لك نيابة عنها
أن تعطيني هذه الصورة
فهذا هو عين العقل
وأنا بنفسي سأحملها اليها .
هكذا أرادت مني استريا
لأنه حتى في أصغر الأشياء
وإن كانت تنالني بالضرر
فإن استريا هي التي تريدها

أستولفو : ولو بذلت جهودا أكبر
آه يا روساورا فما أسوأ ما يمكنك
المداراة ! فقولي لعينيك
أن تتناغم موسيقاها

مع الصوت فمن اللازم
أن يكذب وأن يتنافر
مثل هذا الجهاز المختل
عندما يريد أن يقيس ويضبط
الزيف فيما يقول
مع حقيقة ما يشعر

روساورا : لست أقول سوى أنني
أنتظر الصورة !

أستولفو : إذا كنت تريدين
أن تمضي في الخدعة إلى النهاية
فإني أريد أن أجيبك بها
فقولي يا أستريه للأميرة :
إنني أقدرها لحسن الحظ
وأنها إذ طلبت مني صورة
فيبدو لي أن ارسالها
قليل اللياقة وهكذا
فلأني أعزها وأقدرها
أبعث إليها بالأصل
وبوسعك أنت أن تحمليه
إذ أنك تصحبينه معك
كما تحملين نفسك

روساورا : عندما يشرع الإنسان
وهو جسور عزيز شجاع
في القيام ببعض المهام
فحتى لو أسلموه باتفاق

ماهو أغلى منها فعودته بدونها
دليل على العجز والخيبة
وقد جئت من أجل الصورة
فحتى لو ذهبت أحمل أصلا
يفوقها في القيمة لكنت أعود
خائبة ، وهكذا فأعطنى
سموكم تلك الصورة
فبدونها لاينبغى لى أن أعود .

أستولفو : أذن ، كيف ستحملينها
إن كنت لن أعطيك إياها ؟

روساورا : بهذه الطريقة
دعها لى أيها الجحود .
(تحاول أن تنزعها منه)

أستولفو : عبث هذا .

روساورا : سبحان الله لايجب أن ترى
وهى في يد امرأة أخرى

أستولفو : ماأشنعك !

روساورا : وأنت غدار

أستولفو : حسبك روساورا . ياحبيبتى

روساورا : أنا حبيبتك ؟ كذبت أيها النذل !

(كلاهما قابض على طرف من الصورة . تدخل أستريّا)

المشهد الخامس عشر

أستريّا — روساورا — أستولفو

أستريّا : أسترية . . أستولفو . . ماهذا ؟

أستولفو : (على حدة) إنها أستريّا .

روساورا : (على حدة) ألهمنى
أن أسترد صورتى
ياذكاء الحب
(الى أستريّا) إن كنت تريدين
أن تعرفي ماهذا فانى ياسيدتى
سأقوله لك

أستولفو : (مسرّ الى روساورا) ماذا تنوين ؟

روساورا : أرسلتنى كى أنتظر
هنا أستولفو وأطلب منه
صورة بالنيابة عنك
فبقيت وحدى ولأن الخواطر تأتى
واحدة في إثر الأخرى بسهولة
وقد رأيتك تتحدثين عن الصور
فتذكرت على ذكرها
صورة لى كانت معى
في كمي وأردت رؤيتها
لأن الإنسان وهو بمفرده
قد يتسلى ببعض الحماقات
ووقعت من يدى

على الأرض وجاء أستولفو
كي يعطيك صورة سيدة أخرى
فالتقطها وأخذ يتمنع
في إعطاء ماطلب منه
وبدلا من أن يسلم صورة يريد
أن يحمل الأخرى وهى صورتى
حتى لم يعد ممكنا أن يعيدها لى
بالرجاء والإقناع
فأردت أن أنزعها منه
بغضب وقد فقدت الصبر
وتلك التى مازالت بيده
هى صورتى سترينها
وترين إن كانت تشبهنى

أستريّا : دع ياأستولفو الصورة
(تأخذها من يده)

أستولفو : سيدتى . . .

أستريّا : إن الأخبار
لم تجاف الحقيقة

روساورا : أليست لى ؟

أستريّا : أى شك في هذا ؟

روساورا : والآن قولى له أن يعطيك الأخرى

أستريّا : خذى صورتك أنت أنت واذهبى

روساورا : (على حدة) لقد استعدت أنا صورتى
فليكن الآن مايكون
(تذهب)

المنظر السادس عشر

أستريّا ــ أستولفو

أستريّا : أعطنى الآن الصورة
التى طلبت فمع أنى لاأفكر
في رؤيتك ولاالكلام معك مطلقا
فلست أريد أن تبقى
في حوزتك ولاحتى
لاننى أنا بمنتهى الغفلة
طلبتها منك .

أستولفو : (على حدة) « كيف يمكننى
أن أخرج من هذا المأزق الشديد ؟ »
بالرغم من أنى أريد ياأستريّا الجميلة
خدمتك وطاعتك
فلن يمكننى أن أعطيك الصورة
التى طلبت لأن . . .

أستريّا : إنك محب سوقي غليظ
لست أريد أن تعطيها لى
لأننى أيضا لاأريد
بأخذها أن تذكرنى

بأنى التى طلبتها منك
(تذهب)

أستولفو : اسمعى ، أنصتى ، انظرى ، لاحظى
سبحان الله ياروساورا !
أين و كيف وبأى طريقة
جئت اليوم الى بولونيا
لكى تجنى علىّ وتجنى على نفسك
(يذهب)

المشهد السابع عشر

سجن الأمير في البرج

سيخسموندو كما كان في البداية يرسف في الأغلال ويرتدى جلد الحيوان وهو ملقى على الأرض كلوتالدو ــ خادمان ــ كلارين .

كلوتالدو : هنا ينبغى أن تتركوه
فاليوم تنتهى كبرياؤه
حيث بدأت .

خادم : كما كانت القيود
أعيد ربطها

كلارين : لاتصح من نومك
ياسيخسموندو حتى لاترى نفسك
وقد ضعت ، تبدل حظك
فقد كان مجدك زائفا
مجرد ظل للحياة
وشعلة للموت

كلوتالدو : إن الذى يعرف التفكير
هكذا فخير له أن يودع
مقامايكون أمامه فيه
مجال فسيح للجدال

(يأمر الخادمين) هذا الذى يجب أن تقبضوا عليه
وتحبسوه في تلك الحجرة
(مشيرا الى أقرب الحجرات)

كلارين : لماذا يقبضون علىّ ؟
كلوتالدو : لأنه يجب أن تكون
مصونا في سجن حصين
البوق(١) الذىيعرف الأسرار
حيث لايمكن أن يصدر منه صوت

كلارين : أ أنا بالصدفة الذى يطلب
موت أبى ؟ لا
وهل أنا الذى رميت من الشرفة
« اكارو » (٢) الصغير
هل أحلم أم أنام ؟ ولأى غرض يحبسوننى

كلوتالدو : أنت كلارين (١) !

---

(١) تلاحظ التورية فى اسم كلارين الذى يعنى « بوقا » كما سبق أن أش
المترجم .

(٢) تقول الأساطير ان اكارو Icaro ابن « ديدالو » قد هرب من
كريت متخذا له جناحين قد لصقا بالشمع ، وعندما اقترب من الشمس س
الشمع فسقط جناحاه ووقع فى البحر ، ويرمز الشاعر بهذه الأسطورة الى
لخادم القصر الذى رماه سيخسموندو من الشرفة بايعاز وحث من كلارين ،
بين الأسطورة وهذه الحادثة غنى بالدلالات عند التأمل ـ المترجم .

كـــلارين : اذن أقول الآن انى سأكون
بوقا وسأصمت
فهو أخس الآلات

(يحملونه فيبقى كلوتالدو وحده)

المشهد الثامن عشر

باسيليو ملثما – كلوتالدو – سيخسموندو مخدرا

باسيلـــو : كلوتالدو !

كلوتــالدو : مولاى . .
أهكذا تأتى جلالتك ؟

باسيلـــو : إن فضولا أحمق
لرؤية ما يحدث هنا
لسيخسموندو (ويل لى !)
قد جاء بى بهذه الطريقة

كلوتــالدو : أنظر اليه هناك وقد حضر
في حالته البائسة

باسيلـــو : آه عليك من أمير شقى
قد ولد في ساعة حزينة
فلتذهب الآن لإيقاظه
فقدْ فقدَ قوته ونشاطه
بالأفيون الذى شربه

كلوتــالدو : إنه قلق يا مولاى
ويتكلم

باسيليـــو : بماذا سيحلم
الآن ؟ فلنسمعه اذن

سيخسموندو : (وهو حالم) إنه أمير رحيم
ذلك الذى يعاقب الطغاة
فليست كلوتالدو بيدىّ
وليقبل أبى رجلىّ

كلوتــالدو : بالموت يهددنى

باسيليـــو : ولى بالشدة والمهانة

كلوتــالدو : يحاول أن ينتزع حياتى

باسيليـــو : ويصمم على أن أجثو أمامه

سيخسموندو : (بين أحلامه) لتخرج إلى الميدان الكبير
إلى مسرح الدنيا العظيم (١)
تلك الشجاعة بلا نظير
حتى تلائم قدر انتقامى
ويرى منها كيف ينتصر

---

(١) هذه العبارة « مسرح الدنيا العظيم » ليست عارضة ولا عفوية
كالدرون فله مسرحية تحمل بالذات هذا العنوان الى جانب بعض الفصول الـ
الاخرى ، بل انها تمثل اكثر من ذلك احد محاوره الفلسفية فى تصور العالم عل
حلقة تمثيل ضخمة تعتبر الحياة فيها ادوارا مسرحية كما اشرنا فى المقدمة ،
هذه الفكرة بأبيات الشاعر الاسلامى الكبير عمر الخيام التى يقول فيها :

وانمـــا نحـــن رخـــاخ الفضـــاء ينثرنـــا فى اللـــوح انـــى
وكـــل مـــن يفرغ مـــن دوره يلقى به فى مستقر الفناء

على أبيه الأمير سيخسموندو
(يصحو)
لكن . . آه على . . أين أنا ؟

باسيليو : (إلى كلوتالدو) بالنسبة لى لا ينبغى له أن يرانى
وها أنت تعرف ماذا يجب عليك أن تفعل
ومن هناك سأذهب أنا لأنصت اليه
(ينسحب)

سيخسموندو : أأكون أنا بالصدفة ؟
أأنا السجين المصفد
الذى وصل لرؤية نفسه في ذلك الحال ؟
ألست أنت لحدى
أيها البرج ؟ بلى . . فليرحمنى الله
أية أشياء رأيت في الحلم !

كلوتالدو : (على حدة) والآن فان دورى أن أصل
حتى أقوم بالمداراة
(إلى سيخسموندو) أليست هذه ساعة صحوك ؟

سيخسموندو : أجل هذه ساعة الصحو

كلوتالدو : أم أنك سوف تمضى النهار بطوله
نائما ؟ فمنذ تبعت
النسر الذى حلق
وطار ببطء
أو قد بقيت أنت هنا
ولم تصح أبدا ؟

سيخسموندو : كلا
وحتى الآن فانى لم أصح
فطبقا لما فهمت ياكلوتالدو
فاننى مازلت أغط في النوم
على أننى لم أخدع كثيرا
لأنه إن كان حلما
مارأيته حقيقة ملموسة
فما أراه سوف يكون غير محقق
وليس كثيرا على منهك
— فانى أرى وأنا نائم
أن يحلم وهو متيقظ

كلوتالدو : قل لى بماذا كنت تحلم ؟

سيخسموندو : على فرض أنه كان حلما
فان أقول بماذا حلمت
بل مارأيت ياكلوتالدو . . أجل
فقد صحوت ورأيت نفسى
(أية قسوة بالغة النفاق !)
أتقلب في فراش يمكن أن يكون
بالظلال والالوان
سرير الزهور
الذى نسجه الربيع
وهناك ألف نبيل جاث
على قدمى وقد أسمونى
أميرهم وقدموا لى

الحفاوة والحلى والملابس
وأتيت أنت فحولت جمود مشاعرى
إلى فرح غامر
وكانت سعادتى تنبئنى
أننى ــ وإن كنت على ماترانى الآن فيه ــ
قد أصبحت أميرا لبولونيا

كلوتالدو : وعلى هذا نلت حلوان البشائر ؟

سيخسموندو : لم يكن جزاؤك منى الا أننى
هممت بقتلك مرتين
بقلب جرىء وشديد
كاشفا عن خيانتى وغدرى

كلوتالدو : كل تلك القسوة علىّ ؟

سيخسموندو : كنت سيدا على الجميع
فانتقمت منهم كلهم
ولم أحب الا امرأة
وأعتقد أن كل ماكان
قد انتهى حقا
الاذلك الحب فهو وحده الذى لم ينته
(يذهب الملك)

كلوتــالدو : (على حدة) «ذهب الملك متأثرا
بما سمع منه»
لأننا كنا قد تكلمنا
لمن هذا النسر ورحت في النوم
فقد دارت أحلامك عن أمبراطوريات

على أنه في الأحلام يحسن بك
أن تشرف إذن من رباك
بمثل تلك الهمة
ياسيخسموندو ففعل الخير
لايذهب سدى ولو في الحلم
(يذهب)

المشهد التاسع عشر

سيخسموندو

هذا حق أذن فلنردع
تلك الطبيعة الضارية
هذا الغضب وذلك الطموح
إن كان لنا مرة أن نحلم
ولو فعلنا هذا فسوف نكون
في عالم جد فريد
فما الحياة إلا حلم
وقد علمتنى التجربة
أن الإنسان الذى يحيا يحلم
بما هو فيه حتى الصحو .
يحلم الملك بأنه ملك ويحيا
بهذا الوهم وهو يحكم
ويشرع ويسيطر
وهذا الهتاف الذى يلقاه
فهو عارية قد خطت في الريح

الحفاوة والحلى والملابس
وأتيت أنت فحولت جمود مشاعرى
إلى فرح غامر
وكانت سعادتى تنبئنى
أننى ــ وإن كنت على ماترانى الآن فيه ــ
قد أصبحت أميرا لبولونيا

كلوتالدو : وعلى هذا نلت حلوان البشائر ؟

سيخسموندو : لم يكن جزاؤك منى الا أننى
همت بقتلك مرتين
بقلب جرىء وشديد
كاشفا عن خيانتى وغدرى

كلوتالدو : كل تلك القسوة علىّ ؟

سيخسموندو : كنت سيدا على الجميع
فانتقمت منهم كلهم
ولم أحب الا امرأة
وأعتقد أن كل ماكان
قد انتهى حقا
الاذلك الحب فهو وحده الذى لم ينته
(يذهب الملك)

كلوتالدو : (على حدة) « ذهب الملك متأثرا
بما سمع منه »
لأننا كنا قد تكلمنا
لمن هذا النسر ورحت في النوم
فقد دارت أحلامك عن أمبراطوريات

على أنه في الأحلام يحسن بك
أن تشرف إذن من رباك
بمثل تلك الهمة
ياسيخسموندو ففعل الخير
لايذهب سدى ولو في الحلم
(يذهب)

المشهد التاسع عشر

سيخسموندو

هذا حق أذن فلنردع
تلك الطبيعة الضارية
هذا الغضب وذلك الطموح
إن كان لنا مرة أن نحلم
ولو فعلنا هذا فسوف نكون
في عالم جد فريد
فما الحياة إلا حلم
وقد علمتنى التجربة
أن الإنسان الذى يحيا يحلم
بما هو فيه حتى الصحو .
يحلم الملك بأنه ملك ويحيا
بهذا الوهم وهو يحكم
ويشرع ويسيطر
وهذا الهتاف الذى يلقاه
فهو عارية قد خطت في الريح

ثم يحيلها إلى رماد
الموت (ياللشقاء الشديد)
فهل هناك من يحاول الملك
وهو يرى أنه لابد أن يصحو
في حلم الموت (١) ؟
يحلم الغنى في ثروته
أنها تقتضى منه مزيد رعاية
ويحلم الفقير أنه يعانى
بؤسه وفقره
يحلم الذى شرع في التألق
يحلم من يجتهد ويسعى
يحلم من يعتدى ويطغى
فكل العالم في النهاية
يحلم بما هو عليه
وان لم يفهم أحد هذا
فأنا أحلم بأنى هنا
مثقل بتلك السجون

---

(١) قارن هذا بما قاله شاعر عربى يدعى التهامى (مات سنة ١٠٢٦ م فى القاهرة) : ـ

فالعيش نـــوم والمنيـــة يقظـــــة   والمـرء بينهمـــا خيـــال ســـارى

فان التطابق يوشك أن يكون تاما بين الفكرة الأم فى مسرحية كالدرون وبين الشطر الاول من هذا البيت ، الا انه لما كانت تنقصنا الشواهد التى تثبت اطلاع المؤلف الاسبانى على الشاعر العربى ولو بالواسطة فاننا لم نستطع أن نضعه فى مكانه من مصادر المسرحية ، ولا يفوتنى هنا ان أتقدم بالشكر الى أستاذى المستشرق الاسبانى الكبير « ايلياس تيريسى Elias Teris » الذى يعود اليه الفضل فى الوقوع على هذا البيت الفريد . ـ المترجم

وقد رأيتنى في حالة أخرى
أكثر تلطفـــا معى
ما هى الحياة ؟ مسّ خبل
ما هى الحياة ؟ مجرد وهم
ظل هى وزيـــف
وأعظم خير فيها صغير
فكل الحياة حلم
والأحلام هى الأحلام

* * *

الفصل الثالث

المشهد الأول

في البرج ، في سجن قريب من سجن سيخسموندو ، كلارين

كلارين : في برج مسحور
كما عرفت أعيش أسيرا
ماذا سيفعلون بي على ما أجهل
ان كانوا لما أعرف قد أماتوني ؟
كيف يأتى رجل بمثل هذا الجوع
ليموت وهو حى ؟
أسفى على نفسى !
سيقول الجميع « حرىّ أن نصدق هذا »
وأحرى بهم أن هم صدقونى
فهذا الصمت بالنسبة لى
لايتوافق مع الاسم
« كلارين » ولاأستطيع الصمت
وان الذين يرافقوننى
هنا لوكنت أقول الصواب
هم العناكب والجرذان
فانظرو . . يالها من طيور حلوة !
ورأس الحزينة مما رأت
تلك الليلة من أحـــلام

مليئة بألف مزمار
من أبواق واحتيال
من المواكب والصلبان
وممن يعذبون أنفسهم في عيد الفصح
أولئك يصعدون وهؤلاء يهبطون
بعضهم يغمى عليهم عندما يرون
الدم الذى يحمله الآخرون
أما أنا والحق أقول
فانى لشدة الجوع يغمى عليّ
إذ أجد نفسى في سجن
حيث يجب كل يوم
عليّ أن أقرأ في الفلسفة
« لنيقوميدس » (١) خلال النهار
وفي صحف « نيثينو » (١) أثناء الليل

---

(١) نيقوميدس Nicomedes ونيثينو Niceno أسماء رومانية قديمة لبعض الفلاسفة ليست لها قيمة خاصة الا فيما أتاحته للمؤلف من فرصة اللعب بالألفاظ من قبيل الجناس المركب . فالاسم الأول يمكن تحليله الى جزئين مؤلفين من أداة النفى العاطفة N I والفعل Comedes الذى يساوى Comeis ومعناهما معا « لاتتغذوا » ، اما الاسم الثانى فهو يتألف كذلك من N I السابقة و Ceno ومعناهما « لا أتعشى » فهذه هى فلسفة الجوع الذى يقرأ فيها كلارين طيلة الليل والنهار

على أن القارىء يمكنه أن يلاحظ فى هذه المناجاة الفردية « مونولوج » الصبغة الدينية الحميمة لكالدرون مشوبة بلون من السخرية الحقيقية التى أراد لها المؤلف أن تعبر عن مرح هذا المهرج فأوشكت أن تكشف عن جانب من شخصيته هو مناقض لما عرف عنه من تزمت ووقار ، كما يلاحظ القارىء أيضا التعريض الطبقى اللاذع الذى يأتى فى الأبيات التالية على لسان كلارين ليناقض فلسفة سيخسموندو ، فاذا كانت هذه محورها أن أكبر ذنب للانسان هو أنه قد ولد فكلارين يعارضها بأن أكبر انتهاك للحرمات هو مجرد أن تكون من الطبقة الدنيا ـ المترجم

وإن كانوا يسمون الصمت « المقدس
كما جاء في التقويم الجديد
فأنه بالنسبة لى سر مقدس
إذ أننى أصومه ولاأبطله
بالرغم من أننى أستحق جيدا
العقاب الذى أعانيه
فقد سكتّ مع أنى خادم
وهذا أعظم الذنوب
(يسمع قرع طبول وأبواق وأصوات من الداخل)

المشهد الثاني

جنـود ـ كـلارين

الجندى الأول : (من الداخل) هذا هو البرج الذى هو فيه
ألقوا بالباب أرضا
وادخلوا جميعا

كلارين : سبحان الله !
من المؤكد أنهم يبحثون عنى
فقد قالوا إنى هنا
فماذا يريدون منى ؟

الجندى الأول : (من الداخل) هيا إلى الداخل
(يظهر بعض الجنود)

الجندى الأول : هاهو ذا

كلارين : ليس هنا

جنــود : مولانا . . !

كــلارين : (على حدة) لابد أن هؤلاء قد جاءوا سكارى ؟

الجندى الأول : إنك أنت أميرنا
فلن نسمح أو نريد لنا
الا السيد الشرعى (١)
لا الأمير الاجنبى
فهذا يتيح الفرصة لنا جميعا .

جنــود : عاش أميرنا العظيم !

كــلارين : (على حدة) سبحان الله . . الأمر جد
فهل من عادة تلك المملكة
أن تمسك كل يوم بواحد
وتجعله أميرا ثم بعد ذلك
تعيده إلى البرج اجل
فها أنذا أراه كل يوم
ومضطر أنا أن أقوم بدورى

جنــود : أعطنا قدمك

كــلارين : لا أستطيع
لأننى في حاجة إليها
من أجلى وإنه لمعيب
أن يكون أمير بلا أقدام

---

(١) فى النص الاسبانى « الا السيد الطبيعى » غير أن المقصود به « السيد الشرعى » كما أثبتنا . المترجم

جنــود : قلنا جميعا لأبيك نفسه
إننا لا يمكن أن نعترف
إلا بك أميرا علينا
لا بمن أتى من « موسكوبيا »

كــلارين : لأنى
كيف فقدتم الاحترام ؟
أما إنكم لكذا وكذا

الجندى الأول : كان ولاء من صدورنا

كــلارين : إن كان ولاء فقد سامحتكم

الجندى الثانى : اخرج لتصلح شأن دولتك
عاش سيخسموندو !

الجميــع : يعيش . . يعيش !

كــلارين : (على حدة) أقالوا سيخسموندو ؟ حسنا
لعلهم يسمون سيخسموندو
كل الأمراء المزورين !

المشهد الثالث

سيخسموندو – كلارين – جنود

سيخسموندو : من الذى يذكر هنا سيخسموندو ؟

كــلارين : (على حدة) فأنا الآن أمير خواء

الجندى الأول : من هو سيخسموندو ؟

سيخسموندو : أنا

الجندى الثانى : (إلى كلارين) اذن كيف جرؤت أيها الحقير
على ادعاء أنك سيخسموندو ؟

كلارين : أنا سيخسموندو ؟ هذا ما أنكره
بل إنكم أنتم الذين
« سخمنتمونى » (١) ثم بعد ذلك
كانت منكم أنتم فقط
البلاهة والجرأة

الجندى الأول : سيخسموندو . . أميرنا العظيم
فالإمارات التى أتينا بها تنطبق عليك
مع أننا ثقة بك
نعلنك سيدا علينا)
أبوك الملك العظيم باسيليو
– وقد كان يخشى من السماوات
أن تكمل نبوءة قدر يقول
بأنه سيرى راكعا تحت قدميك
مقهورا منك – دبر أمره
ليسلبك العمل والحق
ويعطيهما لأستولفو دوق
موسكوبيا ومن أجل هذا
جميع بلاطه ، أما عامة الشعب
وقد عرفوا حقيقة الأمر وعلموا
أن لديهم ملكا شرعيا

(١) هكذا فى الاصل الاسبانى يشتق الشاعر فعلا من اسم « سيخسموندو » كانت طواعية اللغة العربية تساعد على هذا الاشتقاق فقد اجريناه . – المترجم

فهم لايريدون أجنبيا
يأتى ليحكم وهكذا
جعلوا يحتقرون بنبل
قسوة القدر
ويبحثون عنك حيث تعيش
أسيراً كى تخرج بمساعدة
أسلحتهم من البرج لتصلح
أمر تاج الدولة والصولجان
وتزيح عنه الطاغية
اخرج أذن فى تلك الصحراء
جيش عديد
من العامة والعصابات (١)
تهتف لك ، والحرية
تنتظرك فاسمع نبراتهم

أصوات : (من الداخل) عاش سيخسموندو . . عاش !

سيخسموندو : مرة أخرى . . ماهذا أيتها السماوات
أتريدين أن أحلم بالعظمة
التى سيبطلها الزمن لامفر ؟
مرة أخرى تريدين أن أرى
بين الظلال والرسوم
الجلالة والأبهة

(١) يلاحظ آن الشاعر يستخدم هذا الوصف لا لتحقير العامة المتمردين – لانه يأتى على لسان أحدهم – وانما للاشارة الى طبيعة القوات الثائرة وانها ليست جيشا منظما بل عصابات متجمعة لنصرة الحق .

وقد جعلتها الريح هباء ؟
مرة أخرى تريدين أن أمس
خيبة الأمل أو الخطر
لأن القدرة البشرية
تولد ذليلة وتعيش في حذر ؟
إذن . . لايجب أن يكون ، لايجب أن يكون
لئلا أرانى مرة أخرى رهينا
بحظى وقد عرفت
أن كل تلك الحياة إنما هى حلم
فاذهبي ياظلال إنك تصورين
زيفا اليوم لحواس الموات
جسما وصوتا مع أن الحقيقة
أنه ليس لك صوت ولاجسم
فلست أريد الجلالات
الزائفة لأننى لاأريد
أوهاما خيالية
لاتلبث من أوهن نفخة
من النسيم أن تتبدد
فهى كشجر اللوز المزهر
اذ تبكر فيه الزهور
دون تريث ولاتدبر
ثم تنطوىء لأول نفخة
وهى تذوى وتعتم
في براعمها الوردية

من الجمال والنور والزينة
ها أنا أعرفكم ، هاأنا أعرفكم
وأعرف أنه يحدث نفس الشىء
لأى واحد ينام
فليس هناك تظاهر علىّ
فانى الآن قد أهتديت
وأعرف جيدا أن الحياة حلم

الجندى الثانى : إن كنت تظن أنا نخدعك
فأعد نظرك في تلك الجبال
الشامخة حتى ترى
الناس وقد تجمعوا فيها
لطاعتك

سيخسموندو : أجل .
رأيت هذا بنفسه مرة أخرى
بمثل هذا الوضوح والجلاء
مثلما أنا أراه الآن
وكان حلما

الجندى الأول : أمور عظام
تأتى يامولاى العظيم دائما
بما يؤذن بها وربما كان
من هذا أن كنت رأيته أولا في المنام

سيخسموندو : حسنا قلت . كان إيذانا
وربما كان حقيقة
فلنحلم يانفس فلنحلم

مرة أخرى لكن يجب أن يكون
بانتباه ونصيحة
لأننا ينبغى أن نستيقظ
من تلك اللذة في أحسن الاوقات
ومادمنا نعرف هذا
فان الخيبة ستكون أقل
اذ أن تقديم النصيحة
هو سخرية من الأذى .
وبهذا الاحتياط
من كل ماكان حقيقة
فكل سلطة عارية
ويجب أن ترد الى صاحبها
نجرؤ على كل شي ء .
رعاياى انى أشكر لكم
هذا الولاء وبى تحماون
من يحرركم بجسارة ومهارة
من الاجانب المستعبدين
فاشرعوا السلاح اذ سرعان
ما ترون شجاعتى الهائلة
سأقوم ضد أبى
أرفع السلاح وأستخرج
الحقائق من السماوات
اذ يجب أن أراه أو قدمى . .
(على حدة) لكن ان صحوت قبل هذا

أليس من الأفضل أن لا أقوله
ما دمت لن أفعله حقيقة ؟

الجميع : عاش سيخسموندو . . عاش !

المشهد الرابع

كلوتالدو — سيخسموندو — كلارين — جنود

كلوتالدو : بحق السماوات ما تلك الضجة ؟

سيخسموندو : كلوتالدو !

كلوتالدو : مولاى
(على حدة) سيجرب فيّ قسوة عقابه

كلارين : (على حدة) أنا أراهن
أنه سيلقى به من الجبل
(يذهب)

كلوتالدو : إلى قدميك الملكيتين وصلت
وأعلم أن نصيبى الموت

سيخسموندو : انهض
انهض يا أبى من الأرض
فإن عليك أن تكون دليلا هاديا
الذى أفزع بمشورتى إليه
فانى أعرف أن تربيتى
تدين لك بعظيم الولاء
أعطنى ذراعيك

كلوتالدو : ماذا تقول ؟

سيخسموندو : انني أحلم وأريد
أن أفعم الخير اذ لا يضيع
فعل الخير ولو في الاحلام

كلوتـــالدو : لو كان عمل الخير مولاى الآن
هو شعارك فمن المؤكد
انك لن تغضب لوأنني
طلبت اليوم نفس الشيء
تعلن الحرب على أبيك !
لا أستطيع أن أنصحك
ضد ملكي أو أساعدك
فها أنذا أجثو تحت قدميك
فاقتلني

سيخسموندو : أيها النذل
أيها الخائن الجحود

(على حدة) : لكن يجب علىّ بحق السماء أن أكبح نفسي
فما زلت لا أعرف ان كنت يقظا
انني أحسدك وأشكرك
ياكلوتالدو على شجاعتك
فاذهب لخدمة الملك
سنرى بعضنا في الميدان
وأما أنتم فاشرعوا السلاح

كلوتالدو : أقبل قدميك ألف مرة
(يذهب)

سيخسموندو : الى الملك هيا أيها القدر
ولاتوقظني ان كنت أنام
ولو كان حقيقة فلاتنمني
وسواء كان حلما أم حقيقة
فعمل الخير هو المهم
لكونه خيرا إن كان حقيقة
والا فلكسب الأصدقاء
عندما نصحـــو
(يذهبون وهم يقرعون طبول الحرب)

المشهد الخامس

بهو في القصر الملكي — باسيليو — أستولفو

باسيليو : من ذا يستطيع يا أستولفو أن يوقف بحكمة غيظ
جواد جموح ؟
ومن ذا يوقف من نهر تياره
وهو يجرى بخيلاء نحو البحر ويتحدر ؟
ومن ذا يعطل بشجاعة صخرة
قد اقتلعت من قمة جبل ؟
كل هذا أسهل في الإيقاف عند النظر
من غضبة الدهماء المتكبرة
وليقل هذا الضجيج المنقسم الى طائفتين الذى
الذى يسمع دويه فيالأعماق
من الجبال وصداه المتكرر
البعض يهتف أستولفو والآخرون سيخسموند

ورواق القسم قد اقتصر
على نية ثانية وفزع ثان
مسرح مشئوم يقدم القدر
فيه مآسيه بالحاح

أستولفو : مولاى فلتبطل اليوم كل تلك الافراح
ولينته التهليل ولذة النفاق
ما وعدتنى به يدك السعيدة
فإن كانت بولونيا – وأرجو حكمها –
اليوم تقاوم طاعتى
فهذا لأننى سأستحقها أولا
أعطنى جوادا مفعما بالخيلاء
فمن يباهى رعدا لا بد أن ينحدر برقا
(يذهب)

باسيليو : قليل هو التحفظ فيما لابد منه
وخطر عظيم فيما هو منتظر
أن كان سيحدث فدفعه مستحيل
ومن يتعلل له أكثر ماأشد مايتوقعه
قانون قاس ! حال شديد . . رعب شنيع !
ومن فر من الخطر أتى اليه
وماضيعنى سوى ماكنت حفيظا عليه
أنا نفسى ، أنا حطمت وطنى !

المشهد السادس

أستريّا – باسيليو

أستريّا : أن لم تحاول بحضورك مولاى الكبير
أن تواجه الاضطراب الذى حدث
والذى يتسع من فئة لأخرى
وهى مقسمة عبر الشوارع والميادين
فسترى ملكك فى موجات قرمزية
يسبح بين الصبغ الأرجوانى
لدمه ويصبح بهذا الشكل الحزين
كله مآسى وكل شىء شقاء
ويكون انهيار الامبراطورية من الشدة
والعنف والقسوة والنزعة الدموية
بحيث يهول من رآه ويفزع من سمع عنه
تهتز الشمس وتتعثر الرياح
وكل حجر يقف كأنه هرم
وكل زهرة تمثل نصبا تذكاريا
وكل مبنى يتحول لحدا عاليا
وكل جندى هيكل حى

المشهد السابع

كلوتالدو – باسيليو – أستريّا

كلوتالدو : حمدا لله أننى أصل لقدمك حيا !

باسيليو : ماذا هنالك ياكلوتالدو عن سيخسموندو ؟

كلوتالدو : ان العامة قد تورطت كمسخ ضرير
واقتحمت البرج ومن أعماقه

أخرجت أميرها ثم بعد ذلك
وقد رأى نفسه مرة ثانية في شرف آخر
أظهر شجاعة وقال بشراسة
إن ينتزع السماء الحقيقية

باسيليو : أعطني جوادا لأنني بنفسي
أريد أن أقهر بشجاعة ابني العاق
والآن دفاعا عن تاجي
فان ماأخطأه العلم سيصيبه السلاح
(يذهب)

أستريا : أما أنا فجانب الشمس سأكون بيلونا (١)
فرجائي أن أضع اسمي بجوار اسمك
فعليّ أن أطير بأجنحة منشورة
حتى أنافس ألوهية بالاس (٢)
(تذهب وتقرع طبول الانذار)

المشهد الثامن

روساورا وهي تستوقف كلوتالدو

روساورا : بالرغم من أن الشجاعة التي تكنها
في صدرك تنبعث منها أصوات
من هناك استمع إليّ

---

(١) هي الالهة المحاربة Belona التي تعزو اليها الأساطير أنها كانت تعد مركبة اخيها مارتي Marte اله الحرب وتشعل بشجاعتها حماس الجنود .

(٢) هي Palosaterea الهة الحكمة والفنون والعلوم في الاساطير الاغريقية بنت زيوس ورمزا لانحدار أثينا من أصلاب الآلهة وهي نفسها مينيرفا عند الرومان ـ المترجم .

فاني أعرف أن كل شيء حرب
تعرف جيدا أنني وصلت
فقيرة ذليلة شقية
إلى بولونيا ثم احتميت
بشجاعتك ووجدت فيك
الرحمة وأمرتني يا للسماوات
أن أعيش متخفية
في القصر وأن أحاول
وأنا أداري غيرتي
أن أحترس من أستولفو وفي النهاية
رآني وكم آذاني
في شرفي أنه وهو يراني
يتحدث لاستريا ليلا في حديقة
وقد أخذت مفتاحه.
حتى يمكنك أن تجد فرصة
وتستطيع دخولها
وتضع حدا لاحتراس
وهكذا عزيزا جريئا قويا
يمكنك أن تعيد لي شرفي
اذ أنك عازم على الانتقام
لي منه بالموت

كلوتالدو : حقيقة انني كنت أميل
منذ اللحظة التي رأيتك فيها
أن أفعل يا روساورا من أجلك

(ويشهد لهذا نواحك)
كل ما تسعه حياتى
وكان أول ما حاولت
أن أنزع عنك ذلك الثوب
لأنه لو كان قد رآك
أستولفو في ثوبك الأصيل
فان التهور المجنون
يعرض الشرف للفضيحة
وقد رسمت في هذا الوقت
كيف أستطيع أن أسترد
شرفك المفقود حتى لو كان
(ماأبعد مايجرفنى شرفك)
بقتل أستولفو فانظرى
أى عجوز وأى هذيان !
ولما لم يكن ملكا لى
فانه ماكان يدهشنى ولا أنا أتهيبه
فكرت أن أقتله عندما
حاول سيخسموندو
قتلى وجاء هو
يواجه المخاطر
ويقدم دفاعا عنى
من الدلائل على إرادته
ماتجاوز حدود الشجاعة
داخلا في باب التهور
فكيف بى الآن (لاحظى)

ولى نفس تشعر بالامتنان
أن أذيق الموت لمن
سبق أن وهبنى الحياة ؟
وهكذا بين الحزبين
المحبة والرعاية
أنا أرى أننى أعطيتك الحياة
وأننى منه قد تلقيتها
لاأعرف إلى أى جانب أهرع
ولاأعرف أى جانب أساعد
فان كان اليك يرغمنى العطاء
وان كان يرغمنى الاستقبال
فأى عمل يراد
لن يرضى حتى مطلقا
لأننى إذا قمت بأى عمل
فأنا نفسى الذى سأتألم لآثاره

روساورا : ليس علىّ أن أحذّر
أنه عند الرجل الفريد
فالعمل النبيل هو العطاء
والتلقىّ صغار
فلو أقررنا هذا المبدأ
لايجب أن تكون ممتناله
على افتراض انه كان
هو الذى وهبك الحياة
ووهبتها لى فشىء واضح

أنه قد أرغم نبلك
على أن تفعل شيئا دنيئا
وأنا أحملك على عمل كريم
(ينفخ في مزمار) فإنه بهذا قد أهانك
كما أنك مدين لى
على فرض أنك أعطيتنى
ماتلقيته منه
وهكذا يجب عليك أن تخف
لتنقذ شرفي من مثل ذلك الخطر
اذ أننى أفضله بقدر ما
يفضل العطاء التلقى

كلوتـالدو : بالرغم من أن النبل يعيش
في جانب الذى يمارس العطاء
فان على من يتلقى
بدوره أن يظهر الثناء
وهاأنذا قد عرفت أن أعطى
فلى الآن اسم مشرف
هو اسم الكريم
فليترك لى اسم المعترف بالجميل
اذ أن بوسعى أن أحصل عليه
وأنا ممتن مادمت
سخيا فإن الأنسان
يشرف بالعطاء مثل القبول

روســاورا : منك تلقيت الحياة
وأنت نفسك قلت لى
عندما منحتنى هذه الحياة (١)
أن من لحقتها إهانة
فلا حياة لها ثم إننى
لم أتلق أى شيء منك
فلم تكن حياة تلك الحياة
التى قدمتها يدك لى
ولو كان يجب عليك أولا
أن تكون سخيا قبل أن تكون شاكرا
(كما سمعتك نفسك تقول)
فأرجو أن تهبنى الحياة
التى لم تعطنى إياها
لأن العطاء يعظم أكثر
ولن تكون من الشاكرين
إلا أذا كنت قبل ذلك من الأسخياء

كلوتالدو : أما وقد غلبتنى حجتك
فسوف أكون من الأسخياء أولا
وسوف أمنحك ياروساورا
ثروتى تعيشين
في دير فان من حسن التفكير

---

(١) هذا التكرار الذى قد يعزى الى ركاكة الأسلوب مقصود من الشاعر فلم نجد بدا من الحفاظ عليه ابقاء على الكلمات التى تعتبر مفاتيح ورموزا للمحتوى الفلسفى للمسرحية ، كما أنها من ناحية اخرى من معالم هذا اللجج الذى تتميز به آداب العصور الوسطى « الباروكية » وتلتقى فيه أذواق العرب والاسبان . المترجم

تلك الوسيلة التى أطلبها
فلأجل الهروب من ذنب ما
تلجئين لحرم مقدس
فإننى عندما تعانى المملكة
كل تلك المصائب والانقسامات
ولما كنت قد ولدت نبيلا
فليس لى أن أكون من يزيدها
وبهذا العلاج الذى اخترت
سأحفظ للمملكة الولاء
وأكون معك من الكرماء
ومع أستولفو من الشاكرين
وهكذا فاختارى مايلائمك
على أن يظل بيننا نحن الاثنين
سبحان الله فاننى لن أفعل
أكثر من ذلك لو كنت أباك !

روساورا : لو كنت أنت أبى
لعانيت أنا هذا الهـوان
لكنك لست هو، فلا .

كلوتالدو : اذن فماذا تنتظرين أن أفعل؟

روساورا : أن تقتل الدوق

كلوتالدو : هل لسيدة
لم تعرف أباها
مثل تلك الشجاعة ؟

روساورا : أجـل

كلوتالدو : فمن ذا يشجعك ؟

روساورا : سمعتى

كلوتالدو : أنا أحذرك : ان عليك أن ترى أستولفو . .

روساورا : شرفي يسحق كل شيء

كلوتالدو : انه ملك عليك وزوج استريا

روساورا : حاشا لله هذا لن يكون

كلوتالدو : إنه جنـون

روساورا : ها أنا أراه

كلوتالدو : فتغلبى اذن عليه

روساورا : لن أستطيع

كلوتالدو : ستخسرين

روساورا : أعرف ذلك

كلوتالدو : حياتك وشرفك

روساورا : أعتقد هـذا

كلوتالدو : ماذا تحاولين ؟

روساورا : موتى

كلوتالدو : فانظرى
هذا ليس إلا حفيظة

روساورا : إنه الشرف

كلـوتالدو : هـــراء

روســاورا : شجاعة هى

كلـوتالدو : بل خبـل

روســاورا : إنه غيظ وغضب

كلـوتالدو : في نهاية الأمر : أليس ثمة وسيلة
لعاطفتك العميـاء ؟

روســاورا : كـلا

كلـوتالدو : فمن ذا الذى عليه أن يعينك ؟

روســاورا : أنـا

كلـوتالدو : لامناص ؟

روســاورا : لامناص

كلـوتالدو : فكرى جيدا إن كانت توجد طرق أخرى ؟

روســاورا : أن أفقد نفسى بشكل آخر

(تذهب)

كلـوتالدو : اذن انتظرى يابنيّـة

إن كان الضياع حتما عليك فلنضع جميعـا

(يذهب)

المشهد التاسع

سيخسموندو يرتدى جلود الحيوان ، جنود تنتظمهم
مسيرة عسكرية كلارين – قرع ودقات حرب

سيخسموندو : لو رأتنى في هذا اليوم
روما وهى في انتصارات عصرها الأول
آه . . كم كانت تسر
اذ تراها تظفر بفرصة نادرة
يكون فيها وحش
قائدا جيوشها الكبيرة
ومن زفراته المتكبرة
قليل عليه غزوة السماء
ولكن فلنكفكف الطيران
يانفس ولا نذهب هكذا هواء
فان هذا التصفيق المريب
أن كان سيحزننى عندما أصحو
لأننى ظفرت به
كى أفقده
فكلما كان وجوده أقل
قلت الحسرة عليه أن فقد
(ينفخ في مزماره)

كـلارين : على جواد « مكرّ مفرّ »

(ومعذرة إن كان قد خطر لى)

استعمال هذا الرسم (١)
كأن خريطة قد رسمت عليه بحرص
فجسمه هو الأرض
وروحه هي نار يكنها الصدر
وزبده البحر والهواء زفيره
وفي اختلاطه أعجب لدينا من الفوضى
أذن في الروح والرغوة والجسم والنّفس
مسخ هو من نار وأرض وبحر وريح (٢)
فألوانه خليط مرقع
فهو أشهب ولغرضه مستدير
أما الذى يهز مهمازه
وبدل أن يعدو يطير
على هذا ا. واد وصلت لمحضرك
امرأة أنيقة

سيخسموندو : نورها يغش بصرى

كــلارين : (وهو ينسحب) سبحان الله ! أنها روساورا

سيخسموندو : بعثتها السماء لحضرتي من جديد

---

(١) هذا الاعتذار موجه من كلارين الى الجمهور ، لا الى سيخسموندو ، فهو خرق مالوف للحائط الرابع فى المسرح الكلاسيكى الاسبانى ، وقد استخدم الشاعر فى وصف الجواد كلمة Veioz التى تعنى سريع العدو ، وهو استخدام تقليدى شائع يوشك ان يكون « اكليشيه » فى الشعر الاسبانى ، لهذا اعتذر عنه فى التو وقد حاولت العثور على ما يقابله من الشعر الجاهلى المعروف حتى يكون للاعتذار معنى فى العربية ـ المترجم .

(٢) هذه هى عناصر الكون الأربعة عند الأقدمين ، والتماسها فى صفات جواد امر قد يبدو لنا اليوم مفتعلا ولكنه فى عصر الافراط الزخرفى (Eibarroco) كـان ولا شك دليلا على مهارة الشاعر ـ المترجم .

المشهد العاشر

روساورا تتقلد سيفا وخنجرا وترتدى ثياب رعاة .
سيخسموندو ، جنود

روســاورا : سيخسموندو أيها الكريم
يامن جلالته البطولية
تبرز للنهار من أفعاله
ومن الليل لظلاله
ومثل أعظم الكواكب
ـ وهى في أحضان الفجر
تروح تنداح بوضاءة
على الزروع والورود
على الجبال والبحار ـ
عندما تطل يعلوك التاج
تنثر الضوء ويلمع الشعاع
تستحم القمم ويفيض الزبد
هكذا أشرقت على العالم
ياشمس بولونيا الباهرة
وهاهى امرأة شقية
ترتمى اليوم على قدميك
فاحمها لأنها امرأة
وشقية وهما شيئان كفيلان
بأسر أى رجل
يعتز بشجاعته
وأيهما يكفي

وأي الاثنين يزيد
ثلاث مرات هى التى
أعجبت بى فيها وجهلت
من أكون ، أجل رأيتنى ثلاث مرات
بملبس وشكل مختلف
في المرة الأولى ظننت أنى
رجل وكنت في سجنك الصارم
حيث كانت حياتك
عامل تخفيف لمصائبي
والثانية أعجبت بى
كامرأة عندما كانت
أبهة جلالتك حلما
شبحا وظلا
والثالثة اليوم وقد أبدو
مسخا من جنس آخر
إذ أخب في زينة مرأة
وأتقلد سلاح رجل
ولكي تعطف عليّ
وأفوز منك برعاية أكثر
فمن الأحسن لك أن تسمع
أحدث حظى الفاجعة :
ولدت من أم نبيلة
في بلاط موسكوبيا
ولابد أنها كانت رائعة الجمال
إذ أنها كانت شقية

وكانت هدفا لنظرات
رجل خائن لست أسميه
لأنى لاأعرفه
وشجاعته تدل عليها
شجاعتى إذ كنت هدفا
لفكرته . وآسف الآن
لأنى لم أولد وثنية
حتى أزعم بجنون
أنه كان إليها من أولئك
الذين نعرف عن بعضهم مسخ نفسه
إلى مطر من ذهب أو بجعة أو ثور
من أجل الطفر بدانامى وليدا وأوروبا (١)
وربما فكرت بأننى أطلت
بذكر قصص الخيانات
حديثى حتى تجد فيه
ماقلت لك باشارات قليلة
فأن أمى وقد فتنتها
لطائفه في أمور الحب
كانت أجمل من كل الجميلات
وإن كانت تعيسة مثلهن جميعا

(١) اشارة الى قصيدة Mefamorfosis (سفر المسوخ) للش
اللاتينى الكبير أوفيديو (٤٣ ق.م – ١٧ م) التى تعتبر مع قصيدته الأخرى المس
« فن الحب » انجيل الأساطير القديمة ، وهو يحكى فيها قصة جوبيتر عنا
غرر بالآلهات الثلاث فتحول من أجل الأولى الى مطر من ذهب ومن أجل الثانيا
بجعة ومن أجل الثالثة الى ثور ، وهى الاسطورة التى اتخذها كافكا اساسا ل
المعروفة بنفس الاسم ، مع اختلاف الرموز والأعماق الفكرية بالطبع . المترجم

فأنه بهذا العذر الغريز
ـ وعد الزواج وكلمة الثقة ـ
قد أدرك منها ماحتى اليوم
مازلت أبكيه في التفكير
ولأنه لم يكن الاطاغية أسرع في الهروب بعد أن
أن غرر بها
كما هرب اينياس من طروادة (١)
بعد أن ترك لها حتى حسامه .
وهاهو ذا السيف لايزال مغمدا
وإن كنت سأجرده
قبل أن تنتهى القصة
من هذا الرباط المشئوم
الذى لايربط أو يلزم
سواء أكان زواجا أو خطيئة
على أنهما نفس الشيء !
ولدت عظيمة الشبه بها
حتى كأننى صورة لها أو نسخة
فان لم أكن مثلها في الجمال
فقد كنت مثلها في الحظ والفعال
وهكذا فليس من اللازم
أن أقول إننى لم أكن سعيدة
فقد ورثت أنا حظها

(١) اينياس امير طروادة ابن افروديت وانقيسيس ، وقد اتخذه فرجيل بطلا لملحمته الانياذة وهو الذى حارب الاغريق بشجاعة خلال حصار طروادة ثم هرب منها عندما سقطت ـ المترجم .

وجرىّ قدرى الخاص
وأقصى ماأستطيع أن أقوله لك
عن نفسي أنه كان صاحبا
يسرق منى أمجاد الشرف
وينزع عنى أسلاب العرض
إنه أستولفو . . آه علىّ عندما أسميه
يشتد الغيظ والغضب بقلبى
شأن من يذكر عدوا له
كان أستولفو صاحبى الجحود
وقد نسيته الأمجاد
(لأن الإنسان في الحب القديم
ينسى حتى نفس الذاكرة)
قد جاء بولونيا ، نودى عليه
بعد غزوته تلك الشهيرة
كى يتزوج باستريّا
التى كانت غروب شعلتى
ومن ذا يصدق أن النجوم(١)
وهى من يجمع بين حبيبين
تجيء منها ثريا الآن
وتفرق بينهما
أما أنا فمهينة حزينة
بقيت هزأة ، بقيت مجنونة

(١) نذكر القارىء بان اسم « استريا » يعني كوكب أو ثريا ... أشرنا ، فهذا هو محور اللعبة البديعة في هذه الأبيـات وفى غيرها ... اللفظية ـ المترجم

بقيت ميته ، بقيت أنا
ـ وهذا يعنى أنه أصبحت
كل مخازى جهنم
مركزة في بابلى (١) ـ
فتحولت إلى بكماء
(لأن هناك من الحزن والكرب
ماتنطق به الدلالات
أحسن بكثير من الفم)
أخذت أقول أحزانى في صمت
حتى حدث ذات مرة باللسماء
أننى كنت وحدى مع أمى « بيولانتى »
فحطمت أحزانى السجن
وخرجت معا في كتائب من الصدر
تتعثر إحداها بالاخرى
ولم أرتبك في قولها
فأن الانسان عندما يعرف
أنه يحكى فقط ضعفه
لمن كان شريكا في مثلها
يبدو أنه بفعل هذا
يخلّص نفسه ، يفثأ غله
فالمثل السيء في بعض الأحيان

استخدم الشاعر اسم مدينة بابل ـ عاصمة الكلدانيين على شاطىء
رمزا للحيرة والخزى لان هذه المدينة الشرقية العظيمة بعد أن ازدحمت
طفحت بالعمران حلت عليها لعنة الفساد فاصبحت نموذجا للخزى
دات ـ المترجم .

يصلح لشيء .
المهم أنها بعطف
استمعت شكواى ثم أرادت
أن تعزينى بما لقيته هى
فالقاضى الذى أذنب من قبل
ماأسهل عليه أن يغفر !
فأخذت تنكّل بنفسها
وتنكر على باطل الحرية
ويسيرهما في نفس الوقت
أنه كان عوضا عن عرضها
فلم أحصل عليه في مصيبتى
ثم أخذتنى بأحسن النصح
أن أتبعه وأرغمه
بألطف الحيل وأعجبها
كى يدفع دين شرفي
وحتى يكلفنى أقل خطر
أراد لى الحظ
أن أرتدى ثياب رجل
وتناولت سيفا قديما
ـ هذا الذى أتقلده الآن
ولكن أجرده من غمده
كما وعدت آن الأوان ـ
ثم قالت لى وهى واثقة
من علاماته : « أرحلى إلى بولونيا
وحاولى أن يرى معك

هذا النصل الذى يزينك
أكثر الناس نبلا فنى أحدهم
لابد أن يجد حظك
لقاء رحيما
وتجد همومك العزاء . . »
وصلت بولونيا في واقع الأمر
لنترك هذا فليس بمهم
أن أحكيه فمن المعروف
أن جوادى كان قد جمح
بى وحملنى إلى مغارتك
حيث دهشت لرؤيتى
ولنتجاوز عن هذا أيضا فهناك
تحمس كلوتالدو لجانبى
حتى طلب حياتى من الملك
فسلمه الملك حياتى
وبعد أن عرف من أكون
أقنعنى لكى ألبس
ردائى الخاص وأن التحق
بخدمة أستريّا حيث استطعت بمهارة
أن أفسدت عليها حب أستولفو
لئلا تكون أستريّا زوجته
وأدع هذا فقد رأيتنى
مرة وقد اختلطت أمامك الأشياء
ومرة أخرى وأنا في زى امرأة
فخلطت بين كلا الشكلين

ثم أن كلوتالدو
وهو مقتنع بأهمية
أن يتزوج ويتولى الملك
أستولفو وأستريّا الجميلة
ينصحنى ضد شرفي
أن أعدل عن هدفي
أما أنا فقد رأيت أنك
آه أيها الشجاع سيخسموندو
قد جاء دورك اليوم
في الانتقام لأن السماء
أرادت لك أن تحطم مايحبسك
في هذا السجن الخشن
الذى كان فيه شخصك
في العواطف وحشا
وللعذاب صخرة
فاحمل السلاح ضد وطنك
وضد أبيك
جئت لعونك وقد خلطت
بين ديانا (١) وهى تخبّ
في الرياش الغوالى
وبين بالاسى (١) وسروجها
فها أنذا ألبس الآن

---

(١) ديانا بنت جوبيتر ولاتونا ، الهة رومانية قديمة ، وقد نصبها ملكة على الأدغال والغابات ولكنها ما لبثت ان اصبحت ملكة الصيد . اما فقد سبق ان اشرنا الى أنها الهة الحرب فى الاساطير القديمة ـ المترجم

قماشا وصلبا
فكلاهما يزيننى معا .
هيا أيها الزعيم القوى
فنحن الاثنان يعنينا الآن
أن نمنع وأن نبطل
هذا الزفاف الذى دبروه
فأنا يعنينى أن لايتزوج
من سمى بزوجى
أما أنت فلكى لاتجتمع
عليك هاتان الدولتان
وكى لايزيدا قوة وبأسا
ويضعا نصرنا موضع الشك .
كامرأة جئت لكى أقنعك
برد شرفي
ورجلا جئت أشجعك
لتنال تاجك
جئت امرأة لأؤثر فيك
عندما أجثو على قدميك
ورجلا جئت لأخدمك
بسلاحى وشخصى
وهكذا فكر إن أنت اليوم
هويتنى كامرأة
فأنى كرجل سوف أذيقك
الموت في دفاع شريف
عن عرضى لأنى يجب أن أكون

في غزوى إياك عاطفيا
امرأة تبثك شكواها
ورجلا يربح شرفه

سيخسموندو : (على حدة) أيتها السماوات لو كان حقيقة هذا حلما

فلتتعطل منى الذاكرة
فليس بممكن أن يتسع
حلم لكل تلك الأشياء .
رحمتك يارب فمن ذا يعرف
أن يخرج من كل هذه الأحداث
أولا يفكر في إحداها أبدا !
من ذا رأى أحزانا مشكوكا فيها ؟
لو كنت حلمت بتلك العظمة
التى رأيت نفسى فيها فكيف الآن
بتلك المرأة تشير الى
بعلامات في مثل ذلك الوضوح ؟
إذن كان حقا ، لم يكن حلما
وإذا كان حقا — وهذا آخر
من الاضطرابات ليس أقل —
فكيف بها تسمى حياتى
حلما ؟ فهل هذه الأمجاد
تشبه الأحلام لتلك الدرجة ؟
وهل الحقيقى منها يؤخذ
على أنه أكاذيب

والزائف على أنه صحيح ؟
ماأقل ماهناك من فرق بين جانب وآخر
إلى حد أن تقوم مشكلة للمعرفة
أن كان مايرى ومايستمتع به
كذبا أم حقا
فهل تشبه النسخة بهذا القدر
الأصل حتى يقوم الشك
في معرفة ما اذا كانت هى نفسها ؟
أن كان هكذا لابد أن ترى
وقد اضمحلّت بين الظلال
العظمة والحكم
الجلالة والأبهة
فلنعرف كيف نستغل
هذه اللحظة التى قدرت لنا
فاننا لن نحظى منها
الا بما يتمتع به رائى الأحلام .
هاهى روساورا في حوزتى
وروحى تعبد جمالها
فلنستمتع أذن بهذه الفرصة
فالحب يحطم قوانين
الشجاعة والثقة
وهاهى تجثو تحت قدمىّ
هذا حلم ، ليكن كذلك
فلنحلم الآن بالأفراح
فستصبح بعد من الأحزان

لكن . . بنفس حججى
أعود لأقنع نفسى
لو كان حلما . . لو كان وهما زائلا
فمن ذا يضيّع بوهم بشرى
المجلد الإلهىّ ؟
وأى خير ماض ليس بحلم ؟
ومن ذا يذوق النعم البطولية
ولايقول لنفسه عندما
يستعيدها في ذاكراته
أنه بلاشك كان حلما
كل مارأى ؟ فلو كان هذا يمسّ
زوال وهمى ، لو كنت أعلم
أن الشهوة شعلة جميلة
يحيلها إلى رماد
أى ريح ينفخ فيها
فلنهرع إذن لما هو خالد
فهذا هو الذكر المعمّر
حيث لاتنام السعادة
ولاتخبو العظمة .
روساورا الآن بدون شرف
وماينبغى أن يفعله أمير
هو أن يرد الشرف لاأن يسلبه
سبحان الله ، علىّ أن أكون
غازيا يعيد شرفها
قبل تاجى

فلأ هرب من القرصة
لأنها شديدة الإغراء ، انفخ للسلاح !
(إلى أحد الجنود)
فاليوم عليّ أن أقود المعركة
قبل أن تدفن الظلال القاتمة
أشعة الذهب
بين الموجات الخضر المعتمة

روساورا : مولاي . . أتغيب هكذا ؟
حتى ولا كلمة واحدة
تستحقها منك رعايتي
أو يستأهلها كربي ؟
وكيف يمكن ياسيدي
أن لاتنظر اليّ أو تسمعني ؟
أما زلت لاتدير وجهك اليّ ؟

سيخسموندو : إن الشرف يقتضي مني ياروساورا
حتى أكون رحيما بك
أن أكون قاسيا عليك الآن
لن يجيبك صوتي
لأن شرفي يجيبك
لاأكلمك لأني أريد
أن تكلمك عني أعمالي
لاأنظر اليك لأنه من الضروري
في مثل هذا الكرب الشديد

أن لاينظر الى جمالك
من عليه أن ينظر إلى شرفك
(يذهب وبصحبته الجنود)

روساورا : أيه ألغاز هذه أيتها السماوات)
بعد كل هذه الأحزان
مازال عليّ أن أظل في شك
باجابات مبهمة !

المشهد الحادى عشر

كلارين - روساورا

كلارين : سيدتي ، هل حانت ساعة رؤيتك ؟

روساورا : أى كلارين ! . أين كنت ؟

كلارين : كنت حبيسا في أحد الأبراج
وأنا أترقب « بوصلة » الموت
أتقف عندى أم تبعد عني
حتى لكأنني ألعب
على حياتي بالأوراق (١)
وكنت على وشك أن أنفجر

(١) يستخدم الشاعر في هذا المقام مصطلحين من عبارات اللعب بالور
يعزان على الترجمة الحرفية وهما « Estar a figura » (توقع الصورة) و
انتظار أسوأ ورقات اللعب واشدها خسارة أملا فى الكسب من ورائها ، والع
الثانية هى « Pasante Quinola » اى (عريف الكينولا) وهي طريقة فى
الاوراق تبدأ باربع ورقات والكسب فيها بالنقاط ، وغرض الشاعر من
التعبيرات هو الاشارة الى انه فى لعبة الحياة والموت فان الحظ هو صاحب ا
الاخيرة . المترجم

روســاورا : لماذا ؟

كــلارين : لأنني أعرف السرّ
فيمن ، وفي واقع الأمر
فأن كلوتالدو . . لكن أى ضجيج هذا ؟
(أصوات أبواق)

روســاورا : ماذا يمكن أن يكون ؟

كــلارين : قد خرجت من القصر المحاصر
إحدى الكتائب المسلحة
لتقاوم وتغلب
جيوش المتوحش سيخسموندو

روســاورا : أأكون مثل الجبناء
فلا أقف بجواره حتّى الآن ؟
بالفضيحة العالم
عندما تختم مثل تلك القسوة
بلا نظام ولاقانون
(تذهب)

المشهد الثانى عشر

كلارين – جنود من الداخل

أصوات جنود : عاش ملكنا الظافر !

أصوات آخرين : عاشت حريتنا !

كــلارين : عاش الملك والحرية !
عاشا في هناء كبير

فأن شيئا لم يعد يؤثر فيّ
مادام يتلقانى حسابى
وإنى معتزل هذا اليوم
في مثل ذلك الخلط الشديد
أقوم بدور نيرون (١)
إذ لم يكن يوجعه شيء
وإن كنت أريد أن أتألم
لشيء فيجب أن يكون لى
مخبأ ، من هنا
أستطيع أن أرى كل الحفلة
فهذا مكان خفيّ وحصين
بين تلك الصخور
حتّى الموت لن يدركنى
تبا للموت مرتين (٢)
(يختبىء بينما ينفخ في الأبواق وتدق طبول الحرب
وتسمع قعقعة السلاح)

---

(١) معروفة هى قصة نيرون عندما ترك روما تحترق،ولكن الشاعر هنا – كما يقول بعض شارحيه – يشير الى الاغنية الشعبية التى اشتهرت ايامه وكانت تقول :
ينظر نيرون من تاربيا
الى روما وهى تحترق
صراخ الاطفال والعجائز
لم يكن يوجعه في شىء – المترجم

(٢) هذه ترجمة تقريبية ، لأن النص الاسبانى « HIGA » يعنى اشارة احتقار واستهزاء تصحب عادة بحركة عضوية هى قبض كف اليد وابراز الابهام من بين الاصابع الاخرى ، واقرب ما يماثلها فى العامية هي كلمة « طظ » مصحوبة بحركة مماثلة من اليد دلالة على الاحتقار والاستهزاء والشماتة – المترجم .

المشهد الثالث عشر

باسيليو وكلوتالدو وأستولفو هاربين – كلارين من مخبئه

باسيليو : أهناك ملك أشقى مني ؟
أهناك أب طورد أكثر مني ؟

كلوتالدو : هاهو جيشك قد قهر
يفر دون عقل أو نظام

أستولفو : أما الخونة المنتصرون
فباقون

باسيليو : في مثل هذه المعارك
المنتصرون هم أصحاب الولاء
والمهزومون هم الخائنون
فلنهرب أذن ياكلوتالدو
من القاسي اللاإنساني
من عنف ابني الطاغية
(طلقات نارية في الداخل ، يقع كلارين حيث
هو جريحا)

كلارين : رحمتك أيتها السماء !

أستولفو : من هذا الجندي التعيس
الذي سقط عند أقدامنا
مضرجا كله بالدماء ؟

كلارين : أنا مسكين شقي
كنت أريد أن أحفظ نفسي
من الموت فسعيت إليه

وأنا أهرب منه ، قابلته
إذ لامكان
يخفى على الموت سره
من هنا فان الحجة واضحة
على أن من يتوارى منه أكثر
هو الذي يصله أثره
لهذا . . ارجعوا ، ارجعوا
إلى الصراع الدامي فانكم
هناك بين السلاح والنار
أكثر أمنا لو كنتم
قد احتميتم بجبل مصون
فليس هناك طريق مأمون
أمام قوة الأقدار
ولااتجاه المصير الغشوم
وهكذا مع أنكم تريدون أن تتحرروا
مع الموت بالهرب
فانظروا فانكم سوف تموتون
إن أراد الله لكم الموت
(يقع في الداخل)

باسيليو : انظروا . . فانكم سوف تموتون
إن أراد الله لكم الموت !
ماأحسن هذا . . ياللسماء اذ تقنع
ضلالنا وجهلنا
بمعرفة أعظم

من هذا الجسد الذى يتكلم
بفم الجرح
ويطلق المزاج من عقاله
لسانا داميا يعلمنا
إن كل مالدى الانسان
فهو مساع باطلة
ضد قوة وسبب أعظم
لهذا فانني كي أحرر وطني
من الموت والفتن
جئت لإلقائه في قبضة
من زعمت تحريره منها

كلوتالدو : بالرغم من أن القدر يامولاى
يعرف كل الدروب ويعثر
على من يبحث بين الكثيف
من الصخور فليس قصدا
مسيحيا أن نقول إنه
لايوجد تحفظ على عنفه
بلى . . يوجد فالرجل الحصيف
على قدره يستطيع أن ينتصر
وان لم تكن قد وقيت نفسك
من الحزن والمصائب
فهناك مجال لكى تقيها

أستولفو : كلوتالدو يحدثك يامولاى
كرجل حكيم

لما بلغ من عمر ناضج
وأنا أحدثك كشاب جرىء
هناك ثمة بين الأدغال الكثيفة
من هذا الجبل جواد
سريع كأنه سقط النسيم
اهرب به وفي خلال ذلك
أحمى أنا ظهرك

باسيليو : لو كان الله يريد أن أموت
أو كان الموت يتربص بى
فهنا اليوم أريد أن أبحث عنه
وأرجو لقاءه وجها لوجه
(موسيقى حرب)

المشهد الرابع عشر

سيخسموندو – استريّا – روساورا – جنود – مرافقون
باسيليو – أستولفو – كلوتالدو

جندى : بين شاب الجبل الوعر
وفي أحراشه الكثيفة
يختبئ الملك

سيخسموندو : اتبعونى
لن أترك نبتة في قمته
دون اختبارها بعناية
جذعا بجذع وغصنا بغصن

كلوتـالدو : اهرب أنت يا مولاى !

باسيليـو : لأى هدف ؟

أستولفـو : ماذا تحاول ؟

باسيليـو : ابتعد يا أستولفو !

كلوتـالدو : ماذا تريد ؟

باسيليـو : أريد أن أفعل يا كلوتالدو
شيئا كان لا يزال ينقصنى
(يركع أمام سيخسموندو ويخاطبه)
إن كنت خرجت تبحث عنى
فها أنذا تحت قدميك أيها الأمير
افرش شيبتى بيضاء كالثلج
بساطا أبيض لك
لتطأ قفاى ولتدس تاجى
وتذل هيبتى واحترامى
ولكى تنتقم من شرفى
خذنى لديك أسيرا
فبعد كل هذه الوقاية
تتم السماء تشريفها
وتكمل كلمتها

سيخسموندو : يا بلاط بولونيا المجيد
يا من لأغرب الأحداث
كنتم شهداء ، انتبهوا جيدا
فإن أميركم يتكلم إليكم

إن الذى قدرته السماء
فى اللوح الأزرق
كتبته أصابع الرحمن
فهو الذى قد سجله
بالاختام وبالأرقام
فى زرق الصحف التى زينتها
حروف مذهبة
وهى التى لا تخدع أبدا ولا تكذب
أما الذى يكذب ويخدع
فهو الذى كى يسىء استعمالها
يتعمقها وينالها
هذا أبى الماثل هنا
لكى يعتذر بالغيظ
من طبيعتى جعل منى
حيوانا وحشا بشريا
ويا للحظ فلو أننى
— بما رزقت من نبل القدر
ولدمى الكريم
وطبيعتى السخية —
كنت قد ولدت وديعا
متواضعا لكان يكفى
هذا النوع من المعيشة
وذلك الاصل من التربية
لأصبح متوحش العادات

فما أحسنه من أسلوب لمنع ذلك !
ولو قالوا لأى رجل :
« ان وحشا من الضوارى
سيقتلك » أكان يختار
أنجع الوسائل ليوقظه
إن كان نائما ؟
ولو قيل : « هذا السيف
الذى تشده على خصرك
ستموت به » فان مسعاك
سيذهب هباء لتفاديه
لو أنك عرّيته إذن
ووضعته على صدرك
ولو قيل : « إن خلجان الماء
هى التى ستكون قبرك
كأن من فضة نصبك »
فسوءا تفعل إذ تنزل البحر
وقد ارتفع موجه بخيلاء
كأنها جبال من ثلج مجعد
أو كثبان من زجاج كث
نفس الشىء الذى جرى
لهذا الذى يتهدده
وحش ثم هو يوقظه
ولهذا الذى كان يخشى السيف
فيسله من غمده ولهذا الذى يحرك
أمواج عاصفة

فعندما كانت (واستمعوا لى)
حفيظتى الوحشية نائمة
فحنتى كان سيفا فاترا
يكسر حدتى الرخاء
لأن الحظ لا يغلب
بالمظالم والانتقام
لأنه قبل يستثار أكثر
وهكذا فمن ينتظر أن يقهر
حظه ينبغى أن يكون
ذلك بالحكمة والاعتدال
وليس قبل أن يأتى الشر
يتقيه أو يتحفظ منه
من يتوقعه فعلى الرغم من أنه
يستطيع بتواضع (وهذا شىء واضح)
أن يتقيه وهذا لا يكون
الا بعد مايوجد
في نفس الموقف فليس هناك
وسيلة تعوق ماسيكون
ولنضرب مثلا هذا المشهد
الغريب ، هذا العجب العجاب
هذا الهول وتلك الآية
إذ لاشىء أكثر منها
فقد وصل الأمر لأن أرى
بعد الاحتياطات المختلفة

أبي راكعا تحت قدمي
وملكا قد داسوا عليه
لقد كان هذا حكم السماء
وقد حاول الوقوف دونه جهد طاقته
فلم يستطع فهل بوسعي أنا
ـ وأنا أقل منه شيبا
وشجاعة وعلما ـ
أن أقهره
(إلى الملك) انهض يامولاى
أعطني يدك فها هي السماء
تزيل وهمك فقد أخطأت
في طريقة التغلب على حكم القضاء
وهذا عنقي ذليلا لديك
في انتظار أن تنتقم منه
ها أنذا تحت قدميك مستسلما

باسيليو : بنيّ هذا العمل العظيم
مرة أخرى في أحشائي
ينجبك فأنت أمير
أنت جدير بإكليل الغار وسعف النصر
لقد انتصرت
فلتتوجك مآثرك الكبار

الجميع : عاش سيخسموندو . . عاش ! !

سيخسموندو : إن كان هذا النصر اليوم
يعد همتي بانتصارات كبرى

فأن أسمى الانتصارات
أن أغلب نفسي ، أعط ياأستولفو
يدك لروساورا الآن
فأنت تعرف أن شرفها
دين عليك وعليّ أن أقبضه لها .

أستولفو : مع أنني حقا مدين
لها بالتزامات لكن لاحظ
أنها لاتعرف من تكون
وهذه دناءة بل هي عار
أن أتزوج أنا بامرأة . . .

كلوتالدو : لاتستمر . . انتظر ، حسبك
فان روساورا في النبل مثلك
ياأستولفو وهذا سيفي
يدافع عنها في الميدان
إنها ابنتي . . وهذا يكفي !

أستولفو : ماذا تقول ؟

كلوتالدو : أقول إنني حتى أراها
متزوجة كريمة شريفة
لم أرد كشف أمرها
وتاريخ هذا جد طويل
ولكن المهم أنها أبنتي

أستولفو : مادام الأمر كذلك
فسوف أنجز كلمتي

سيخسموندو : إذن حتى لاتظل أستريا
بدون عزاء
عندما ترى أنها فقدت
أميرا ذائع القدر والشجاعة
فانى أمد إليها يدى
كزوج يريد أن يبنى بها
وإن لم أكن أعظم قدرا
وحظا منه فانى مثله
أعطينى يدك

أستريا : أنا الرابحة
عندما أحظى بهذه السعادة

سيخسموندو : أما كلوتالدو وقد خدم
أبى بولاء فذراعاى
ينتظرانه بالنعم
وليجب لكل مايطلب

أحد الجنود : لو كنت هكذا قد شرفت
من لم يخدمك فماذا ستفعل
لى وقد كنت السبب
في شغب المملكة
وأنا الذى قد أخرجتك من البرج
حيث كنت فماذا تعطينى ؟

سيخسموندو : البرج . . وحتى لاتخرج منه
أبدا حتى يدركك الموت
ينبغى أن تكون هناك بحرس

فليست بنا حاجة لخائن
بعدما مضت الخيانة

باسيليو : بهرت الجميع بقريحتك

أستولفو : أى تقلب في طبيعتك !

روساورا : أية فطنة وأى حكمة !

سيخسموندو : ماالذى يبهركم ؟ ماالذى يفزعكم ؟
إن كان معلمى حلم
وإنى لأخشى في أعماقي
أن أصحو منه مرة أخرى
وأجد نفسى حبيس السجن
وحتى لو لم يكن هذا
فحسبى أن أراه في الحلم
فهكذا وصلت لمعرفة
أن كل السعادة البشرية
تمر في النهاية كأنها حلم
وأريد اليوم أن أستفيد
منها طالما دامت لى
طالبا عفوا عما بدر
من أخطائنا فان الصدور النبيلة
من شأنها أن تمنح الغفران

النهايـــة